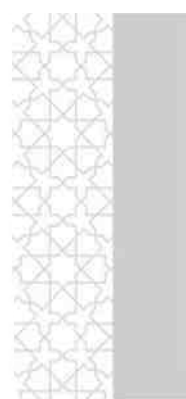
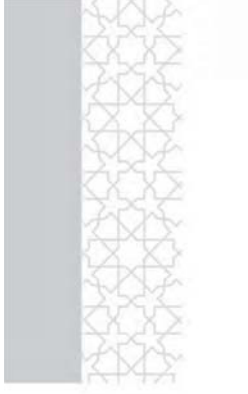


تبيان المعاني لتصاريف مادة "ثقل" في القرآن الكريم

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





تبيان المعاني لتصاريف مادة "ثقل"

في القرآن الكريم

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف

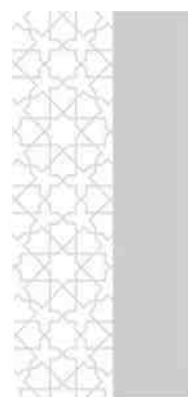
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

عند إمعان النظر في المفردة القرآنية الواحدة، ودورانها في الكتاب العزيز، نقف على معاني متعددة، تبعاً لتنوع سياقاتها، ومواطن ورودها، وهذا ما تقدمه لنا كتب الوجوه والنظائر، من خلال جمع الألفاظ القرآنية، وبيان وجوه معناها، وعرض مواضعها، ولم تخل كتب التفاسير من التطرق لتوجيه تلك الألفاظ، وسرد ما فيها من أقوال.

ومما استوقفني للنظر في معناه، وجمع منابعه، تصاريف مادة (ثقل)، حيث وردت في ثمان وعشرين موضعاً من كتاب الله الكريم، وهذه المادة الفخمة، يتفرع عنها جمل من المباني، وشواهد من الآيات، ينضوي تحت ظلالها تفسيرات متسعة، ومعاني جمّة، في بطون كتب التفسير، ومدونات المعاني والغريب، وتقييدات أصحاب الوجوه والنظائر، إلا أنه خلا تتبعهم لموارد هذه اللفظة من الرصد الدقيق، والتمحيص لتأويلاتها – من غير إغضاء لجهدهم، وغزارة علمهم، وفضل سبقهم، رحم الله الجميع، وأحسن لهم الجزاء –، وقد تمت دراسة تصريفات مادة (ثقل)، مستعرضاً فيها معاني الألفاظ، وتأويلات أهل التفسير، مردفاً ذلك بالأظهر من عيون تلك الأقاويل، ومدى مواءمتها لسياق التنزيل.



المقدمة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، كتب الفوز والفلاح لمن: ﴿تَقُلَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، والخيبة والخسار لمن: ﴿حَقَّتْ مَوَازِينُهُ﴾. أحمده تعالى على جزيل نعمائه، وكريم هباته، وعميم نواله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الثقلين من إنسه وجانه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن سار على نهجه واهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن الكلمات في الحقل القرآني، دقيقة السبك، محكمة السرد، موجزة اللفظ، وافية المعنى، لها أبعاد ودلالات، وأسرار وغايات، قد بلغت المنتهى في الفصاحة والإتقان، والفيوض والبركات.

وعند إمعان النظر في المفردة القرآنية الواحدة، ودورانها في الكتاب العزيز، نقف على معانٍ متعددةٍ، تبعاً لتنوع سياقاتها، ومواطن ورودها، وهذا ما تقدمه لنا كتب الوجوه والنظائر، من خلال جمع الألفاظ القرآنية، وبيان وجوه معناها، وعرض مواضعها، ولم تخل كتب التفاسير من التطرق لتوجيه تلك الألفاظ، وسرد ما فيها من أقوال.

ومما استوقفني للنظر في معناه، وجمع منابعه، تصاريح مادة (ثقل)، حيث وردت في ثمان وعشرين موضعاً من كتاب الله الكريم، وهذه المادة الفخمة، يتفرع عنها جمل من المباني، وشواهد من الآيات، ينضوي تحت ظلالها تفسيرات متسعة، ومعانٍ جمّة، في بطون كتب التفسير، ومدونات المعاني والغريب، وتقييدات أصحاب الوجوه والنظائر، إلا أنه خلا تتبعهم لموارد هذه اللفظة من الرصد الدقيق، والتمحيص لتأويلاتها—من غير إغضاء لجهدهم، وغُزُر علمهم، وفضل سبقهم، رحم الله الجميع، وأحسن لهم الجزاء—، لذا عقدت العزم، وتوجهت المهمة، لاستقصاء مواطن ورودها المتشعبة، في سياقاتها المختلفة، بغية الكشف عن دلالة تراكيبيها، واستخراج دقائق فوارقها، وجلاء حقيقة معانيها بالتحقيق والتحرير، مشاركة في إتمام الفائدة، والعود بعائدة زائدة.

وقد انتظم عقد البحث، ونمط تقسيمه على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة، وتشتمل على أهمية الدراسة.

ثانياً: مفهوم لفظ: (ثقل).

ثالثاً: دراسة الآيات التي ورد فيها تصريف (الثقل) في ثمان وعشرين موضعاً، وذلك وفق ترتيب السور القرآنية.

رابعاً: الخاتمة.

خامساً: ثبت المصادر والمراجع.

* * *

الثَّقَلُ لغةٌ: نقيضُ الخِفَّةِ، وهو مصدرُ الثَّقِيلِ. تقول: ثَقَلَ الشيءُ ثِقَلًا وثَقَالَةً فهو ثَقِيلٌ. والجمع: ثِقَالٌ^(١).

و(الثاء، والقاف، واللام) أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة^(٢). مثل: (ثَقِيل، مثقال، أثقال، ثقال، ثقلان).

وأصل الثَّقَل: أن العرب تقول لكل شيءٍ نفيسٍ مصونٍ: ثَقَل، وأصله في بيض النعام المصون. ووجه تسميته بذلك؛ لأن أخذه يفرح به لكونه قوتاً^(٣).

ويقال للمرء إذا اشتد مرضه: ثَقَلَ ثِقَلًا^(٤).

وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يُقدَّر به يقال: هو ثَقِيلٌ.

وأصل الثقل في:

١- الأجسام.

٢- ويستعمل في المعاني، نحو: أثقله الغُرم، والوزر^(٥).

والثقل في الإنسان يستعمل:

١- تارة في الذم، وهو الغالب المتعارف عليه. مثل قولهم: (ثَقِيل الضِّل).

٢- وتارة في المدح؛ بدلالة القرينة، فيقال لمن فيه وقارٌ: (ثَقِيل)^(٦).

قال زهير بن أبي سلمى (ت: ٣ ف هـ):

تَزِيدُ الْأَرْضُ إِمَامًا مَتَّ خِفًا وَتَحْيَا إِنْ حَيَّتَ بِهَا ثَقِيلًا

نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعُرْضِ مِنْهَا وَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ تَمِيلَا^(٧)

والثقل من الكلمات: ما كثرت مدلولاته ولوازمه، كالفعل، فإن مدلولاته: الحدث

والزمان، ولوازمه: الفاعل، والمفعول، والتصرف، وغير ذلك^(٨).

(١) انظر: جمهرة اللغة ٤٣٠/١ (ثقل)، والصاح ١٢٣٧/٢ (ثقل)، والمحكم ٣٥٣/٦ (ثقل).

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٣٨٢/١ (ثقل).

(٣) انظر: الألفاظ ص ٢٧٢، وتهذيب اللغة ٧٨/٦ (ثقل)، وأساس البلاغة ١١٧/١ (ثقل)، والنهاية ٢١٦/١ (ثقل).

(٤) انظر: الألفاظ ص ٨٢، والمحكم ٣٥٥/٦ (ثقل)، وغراس الأساس ص ٤٧ (ثقل).

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٧، وعمدة الحفاظ ٣٢٣/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٤/٢.

(٦) انظر: المصادر السابقة، والكلبيات ص ٣٢٤.

(٧) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٤٧، وانظر القصة في: أمالي المرتضى ٦٦/١.

(٨) انظر: الكلبيات ص ٣٢٤.

والثقل والخفيف يستعملان على وجهين:
الوجه الأول: على سبيل المضابقة، وذلك بالنظر إلى غيره، فيقال: هذا ثقل بالنسبة
لما هو أقل منه، وخفيف بالنسبة لما هو أكثر منه.
الوجه الثاني: باعتبار حالته وطبيعته:
١- فإن كان ميّالاً إلى الهبوط والنزول إلى أسفل: كالحجر والمدر، فنثقل.
٢- وما كان ميّالاً إلى الصعود: كالنار، والدخان، فخفيف^(١).
إذن مما تقدم من موارد استعمال لفظة: (الثقل)، وتقليبات وجوهه، يتبين أن نواة
الدلالة اللغوية لهذه الكلمة تدل على خلاف الخفة، كما هو بيّن.

* * *

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٧، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٣، وبصائر ذوي التمييز ١/٣٣٥.

دراسة الآيات الكريمات:

تصرف من مادة: (ثقل) ألفاظ متنوعة، في مواضع متعددة من كتاب الله الكريم، حيث بلغت أربعة عشر تصريحاً، جاءت موزعة في ثمان وعشرين آية. وفيما يأتي بيان معانيها، وتحلية وجوهها، وسياق مواضعها من سورها، وفق ترتيب المصحف الشريف.

فأقول مستعيناً بالله، مستوهباً توفيقه:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]^(١).
ورد لفظ ﴿مِثْقَالٌ﴾ ثمان مرات في كتاب الله ﷻ، وآية سورة النساء أعلاه أول مواطن الورد.

(١) هذه الآية من ضمن خمس آيات من سورة النساء، قال عنها ابن مسعود ﷺ: "لهنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً..." أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن ١/١٥٥، والطبري في جامع البيان ٧/٦٦٠. وفي رواية: إن في النساء خمس آيات، ما يسرنني أن لي بها الدنيا وما فيها. ولقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها - ثم ذكر منها هذه الآية - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢/٨٨، رقم: (٥٤٠). وسعيد بن منصور في سننه ٤/٢٩٧، رقم: (١٢٩٧)، وابن المنذر في تفسير القرآن ٢/٧٠٩، رقم: (١٧٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/٢٢٠، رقم: (٩٠٦٩)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ٢/٣٣٤، رقم: (٣١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٣٦١، رقم: (٢٢٣)، وانظر: تعليق محقق سنن سعيد بن منصور على هذا الأثر ١/٢٩٧، وقد ورد في سياق سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٤/١٢٥٢، رقم: (٦٢٦)، والطبري في جامع البيان ٧/٣٦١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣/٩٥٥، رقم: (٥٣٣٨)، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٧/٦٤، كلهم من طرق عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن عبد الله بن عمر، قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: ﴿مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. قال: فقال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وإذا قال الله لشيء عظيم، فهو عظيم وإسناده ضعيف، فيه عطية بن سعد بن جنادة العوفي، صدوق يخطئ كثيراً، وكان شعبياً مدلساً، مات سنة ١١١هـ.

انظر: تقريب التهذيب ص ٦٨٠.

قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٧/٦٤: "رواه الطبراني، وفيه عطية، وهو ضعيف". وانظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ١/٣٨٩.

و﴿مِثْقَالٌ﴾: على وزن: (مِفْعَالٌ، من الثقل^(١)، يقال: هذا على مثقال هذا، أي: وزن هذا^(٢)). ومثاقيل: جمع (مثقال)، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله^(٣). وقد أطبقت كلمة المفسرين^(٤)، وأرباب المعاني^(٥)، على أن معنى: ﴿مِثْقَالٌ﴾ هنا: المقدار والوزن، ويظهر بجلاء ارتباط هذا التأويل بالمعنى اللغوي. عن السدي (ت: ١٢٨هـ) في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾. قال: = وزن ذرة^(٦)، وقال أبو عبيدة (ت: ٢١٠هـ): ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أي: زنة ذرة^(٧). وقال الطبري (ت: ٣١٠هـ): ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ يعني: ميزان ذرة، أي: ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن^(٨).

وقال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): ﴿مِثْقَالٌ﴾: مقدار^(٩). وفي هذه الآية الكريمة بين الخلاق العليم، كمال حكمه، وتمام عدله، ونفي الظلم عن نفسه، فهو سبحانه حكم عدل، تقدّس أن يظلم أحداً من العبيد، أو يخس أحداً شيئاً ولو وزن ذرة^(١٠)، مهما تضاءلت وتضاعرت فلا ينقص الحسنات ولا يزيد في السيئات،

- (١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥٢/٢، والمحرر الوجيز ٥٣/٢.
(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٧، ومعاني القرآن للنحاس ٨٧/٢، وتفسير القرآن العزيز ٣٧٢/١.
(٣) انظر: تهذيب اللغة ٨٠/٩ (ثقل)، والصاح ١٢٣٩/٢ (ثقل).
(٤) انظر: تفسير مقاتل ٢٣٠/١، وجامع البيان ٢٩/٧، وتفسير السمرقندي ٣٥٥/١، والوجيز ٢٦٥/١، وتفسير القرآن العزيز ٣٧٢/١، ومعالم التنزيل ٢١١/٢، وزاد المسير ١٢٥/٢، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٨٠/١، والبحر المحيط ٢٦١/٣، والدر المصون ٦٨/٣، وروح المعاني ٣١/٥، والتحرير والتنوير ٥/٥.
(٥) انظر: مجاز القرآن ١٢٧/١، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٧، ومعاني القرآن للزجاج ٥٢/١، ونزهة القلوب ص ٤٤٠، ومعاني القرآن للنحاس ٨٧/٢، وغرائب التفسير ٢٩٦/١، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، ووجوه القرآن ص ٨٩، وتذكرة الأريب ص ١١٧، ونفس الصباح ٢٧٣/١، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٧، والترجمان ص ٩٥، وتحفة الأريب ص ٨٢، وبهجة الأريب ص ٦٥، وعمدة الحفاظ ٣٢٥/١، والتبيان لابن الهائم ص ١٦٧.
(٦) أخرجه ابن المنذر في تفسير القرآن ٧١٠/٢، رقم: (١٧٧٨).
(٧) مجاز القرآن ١٢٧/١، وأخرجه عنه ابن المنذر في تفسير القرآن ٧١١/٢، رقم: (١٧٧٩).
(٨) جامع البيان ٢٩/٧.
(٩) الوجيز ٢٦٥/١.
(١٠) في المراد بـ (الذرة) أقوال:
القول الأول: النملة، روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ: (إن الله لا يظلم مثقال نملة)، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ٢٩٤/١، رقم: (١٦٤)، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٣٣، والكشف والبيان ٣٨/٣، وشواذ القراءات ص ١٣٥، وهذه القراءة الشاذة يراد منها: التفسير والبيان، انظر: القراءات الشاذة ص ٣٧٨.
القول الثاني: أصغر النمل، قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ١٢٧، وابن فارس في مقاييس اللغة ٣٤٣/٢ (ذرا)، وانظر: الهداية ١٣٢٩/٦.

وإن كان زنة الذرة حسنة، فالكريم سبحانه يضاعفها، ويهب من واسع جوده، وكريم عطائه، أجراً كبيراً، وفضلاً جليلاً، لا يقدر قدره إلا هو جل في علاه.
وفي حديث الشفاعة الطويل، وفيه: (فيقول الله تعالى: اذهبوا فممن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا).

قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقروا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ۖ﴾^(١).
وقال عبد الله بن مسعود: "يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة، فينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَلَا أَشَابَ يَتَنَهَّمُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فيغفر الله من حقه ما يشاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب للناس فينادي: هذا فلان ابن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه، فيقول: رب فنيبت الدنيا، من أين أوتيهم حقوقهم؟ قال: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله، ففضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة، ثم قرأ علينا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ قال: ادخل

= القول الثالث: رأس نملة حمراء، أخرجه الطبراني في جامع البيان ٢٩/٧، عن عكرمة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وانظر: الكشف والبيان ٣/٣٠٨، وبه قال الكلبي، انظر: تفسير السمرقندي ٣٥٥/١، وابن زيد، انظر: البسيط ٢٥١/١.

القول الرابع: الخردلة، انظر: الكشف والبيان ٣/٣٠٨، وزاد المسير ١٢٥/٢.

القول الخامس: ذرة يسيرة من التراب، رواه يزيد بن الأصم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - انظر: الكشف والبيان ٢/٣٨.

القول السادس: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس، إذا طلعت من كوة، انظر: الكشف والبيان ٣/٣٠٨، والكشاف ٢/٧٨.

وهذه المعاني المتقدمة ل (الذرة)، مما تعارفه الناس، وتصوره في أذهانهم، والمقصود: ضرب المثل بأدق الأشياء وأصغرها، وأقلها وأحقرها، وأنه تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً، ولا يخاف أحد ظلاً ولا هضماً، فهو سبحانه منزّه عن الظلم، ووضع الأمور في غير موضعها.

يقول الطوفي: "﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: عام مطرد، ومفهوم الموافقة دل على نفي الظلم في أكبر من ذلك الإشارات الإلهية ٢/٢٦، وانظر: تفسير آيات أشكلت ٢/٥٢٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب لتوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَافِرٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ٢٧٦/٦، رقم: (٧٠٠)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١٦٧/١، رقم: (١٨٣)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري .

الجنة، وإن كان عبداً شقيماً قال الملك: رب فنيت حسناته، وبقي طالبون كثير؟ فيقول: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار^(١).

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ نَمَن نُّقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]. وردت مفردة ﴿نُقُلَّتْ﴾ أربع مرات في كتاب الله تعالى، والآية المصدرة أعلاه أول مواطنها.

و﴿نُقُلَّتْ﴾ على وزن (فَعَّلَ)، من الثَقَلَ، نقيض الخفة. كما أن الأداء الصوتي لكلمة ﴿نُقُلَّتْ﴾ لا يخلو من صفة القوة والشدة^(٢). فمجيء الفعل على (فَعَّلَ) جعله ذا قيمة تفخيمية عالية، تمثلت في صائت (الضم)، وصامت (القاف) المستعلي المفخم^(٣).

ولم يختلف أهل التفسير^(٤)، وكتاب الوجوه والنظائر^(٥)، وأرباب المعاني^(٦)، أن ﴿نُقُلَّتْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: رجحت، وكثرت، وعلى هذا جرت عباراتهم، وتواردت أقوالهم:

فعن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) - رضي الله عنهما - قال: "يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ: ﴿فَمَنْ نُّقَلَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الآيتين]. ثم قال: إن الميزان يخف بمئقال حبة ويرجح، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط"^(٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٣/٧، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩٥٤/٣، رقم: (٥٣٣٥).

وانظر: تصحيح الدكتور حكمت بشير لإسناد رواية ابن أبي حاتم في التفسير الصحيح ٥٣/٢.

(٢) انظر: الرعاية ص ١٧١، ١٨٨، والموضح في التجويد ص ١٠١، ١١٧، والتمهيد ص ١١١، ١٣٨، ١٤٠.

(٣) الصيغ الفعلية ١/٢٤.

(٤) انظر: جامع البيان ٦٩/١٠، وتفسير السمرقندي ٥٣١/١، والهداية ٢٢٨٤/٤، والكشاف ٤٢٥/٢، ومدارك

التنزيل ٤٥/٢، ولباب التأويل ١٨٣/٢، وفتح القدير ١٩١/٢، والفتوحات الإلهية ٩/٢، وتيسير الكريم

الرحمن ص ٣٠٧، والعذب النمير ١٠٠٧/٣.

(٥) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، وعمدة الحفاظ ٣٢٦/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٥/٢.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٣/٦ لابن أبي حاتم، ولم أقف عليه في المطبوع من تفسيره.

وقال مجاهد (ت: ١٠٤هـ): ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: من كثرت حسناته^(١).
وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي: الناجون من المكروه. المدركون للمحبوب، الذين حصل لهم الربح العظيم، والسعادة الدائمة^(٢).

والحاصل: أن الله تبارك وتعالى، يضع الميزان يوم المعاد، لوزن أعمال العباد^(٣)، فمن رجحت وكثرت مقادير أعماله، كان من أهل الفلاح، ودخول الجنان، "وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ تَوْضِعُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ أَنْ يَثْقُلَ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ تَوْضِعُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخْفَ". والحق إنما كان ثقيلاً في الميزان يوم القيامة؛ لأنه ثقیل على النفوس في دار الدنيا، والباطل إنما كان خفيفاً في الميزان يوم القيامة؛ لخفته على النفوس في دار الدنيا^(٤).

اللهم ثَقِّلْ موازيننا، وأعظم أجورنا، وارفع درجاتنا، وتجاوز عن تقصيرنا، واجعلنا من الفائزين المقربين.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا نَبَأَ لَا تُقْنَتْهُ لِبَكْرِ مَيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].
ورد لفظ ﴿نَبَأَ﴾ مرتين في التنزيل العزيز، والمصدر من الآية أول مواطنها.

(١) انظر: الهداية ٤/ ٢٨٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٧.

(٣) مذهب جماهير أهل العلم أن هذا الميزان حقيقي، توضع فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته صار إلى الجنة، ومن كثرت سيئاته على حسناته صار إلى النار - والعياذ بالله -.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصل، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلل، فهو على نيته، ٢٤٥٩/٦، رقم: (٦٣٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٢٠٧٢/٤، رقم: (٢٦٩٤).

وقد اختلف أهل العلم في هذا الموزون: أهو الأعمال؟ أو صحائف الأعمال؟ وهل هو ميزان واحد، أو متعدد؟ وللتوسع في أقوالهم وأدلتهم، ينظر: جامع البيان ٦٩/١٠، والجامع لأحكام القرآن، ١٥٨/٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٠٢/٤، وتفسير آيات أشكلت ٣٨٧/١، والإشارات الإلهية ٢٠٥/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٠٨/٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٦٠٨، والعذب النмир ١٠١١/٣، وشرح العقيدة الواسطية ص ٥٠٠.

(٤) العذب النмир ١٠٠٧/٣.

و﴿ثَقَالًا﴾: جمع ثَقِيل، كغِلَاطٍ جمع غَلِيظٍ، يقال: ثَقُلَ الشيء ثِقْلًا، كصَغُرَ صِغْرًا، فهو ثَقِيل، وجمعه ثَقَال.

و﴿ثَقَالًا﴾: صفة ﴿سَحَابًا﴾ وهي جمع، لذلك وصفت بالجمع ﴿ثَقَالًا﴾، وهي لغة تميم، ومثله قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، [الحاقة: ٧]^(١).

وقد التقت أقوال المفسرين^(٢)، وأهل الوجوه والنظائر^(٣)، أن ﴿ثَقَالًا﴾ يراد بها: مشبعة، ومحملة، وموقرة، وكثيرة (الماء)، وبهذا المعنى اتجهت أقوالهم، وتنوعت عباراتهم.

فهذه الرياح تحمل سحاباً موصوفاً بشدة الثقل، لكثرة حملة الماء، وامتلائه به، مع دنوه من الأرض.

قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في بيان المعنى: "أي: حملت الرياح سحاباً ثَقَالًا، أي: من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة^(٤)، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل^(٥) - رحمه الله -:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُرْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالًا

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالًا^(٦)

(١) انظر: درج الدرر - المنسوب للجرجاني - ٧٦٢/٢، والكتاب الفريد ٧٣/٢، والبحر المحيط ٣٢١/٤.
(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣٩٦/١، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٤/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وتفسير السمرقندي ٥٤٧/١، وتفسير القرآن العزيز ١٢٨/٢، والوجيز ٣٩٨/١، وتفسير القرآن للسمعاني ١٩٠/٢، وتذكرة الأريب ١٨٠/١، والمحزر الوجيز ٤١٣/٢، ومجمع البيان ٦٦٥/٤، والتفسير الكبير ٢٨٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/٩، والتسهيل ٣٥/٢، والبحر المحيط ٣٢١/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٤١/٣، والتبيان ص ٢٠٤، ونظم الدرر ٤٥/٣، والعذب النمير ١٢٧٧/٣.
(٣) انظر: وجوه القرآن ص ٨٨، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٥.
(٤) أي: مظلمة، والمدلهم: الأسود، انظر: لسان العرب ٢٠٦/١٢ (دلهم).

(٥) هو أبو سعيد، زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، ابن عم عمر بن الخطاب - كان يتعبد على دين إبراهيم عليه السلام - وكان يجاهر بعدائه للأوثان، وعادة وأد البنات، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٦١/١، والمعارف ص ٥٩، والإصابة ٥٠٧/٢.
(٦) تفسير القرآن العظيم ١٤٤١/٣، والبيتان من جملة بيوت شعرية في التوحيد، وهي في سيرة ابن إسحاق - المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي - ص ٩٧، وبتقديم البيت الثاني على الأول، وانظرها في: السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٧/١، وقد أخرجها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥١٦/٩، من طريق الزبير بن بكار، قال: وأنشدني محمد بن الضحاك الحزامي، عن أبيه، لزيد بن عمرو... فذكره بالترتيب نفسه، وبينهما بيت.

الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

هذا هو الموطن الثاني لمفردة ﴿نُقِلَتْ﴾ في التنزيل الحكيم.
وفي الآية مسألتان:

المسألة الأولى: سبب النزول: وفيها روايتان:

الرواية الأولى: عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - أنه قال: "قال جبل بن أبي قشير^(١)، وسمول بن زيد^(٢) لرسول الله ﷺ: يا محمد، أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإننا نعلم متى هي. فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾"^(٣).

وهذه الرواية قد أبانت أن السائل عن الساعة من اليهود.

الرواية الثانية: عن قتادة (ت: ١١٧هـ): "قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة، فأسر إلينا متى الساعة؟ فقال الله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾"^(٤). وهذه الرواية حددت السائل عن الساعة من قريش.

وفي ظل ضعف ما ورد في سبب النزول، ليس ثمة ما يجزم به ويصح التعويل عليه في تعيين السائل عن الساعة، سواء من قريش أم اليهود.

(١) جبل بن أبي قشير: أحد يهود بني قريظة، ممن عادى الرسول ﷺ، وعارض دعوته.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٩٠، والبداية والنهاية ٥/٧.

(٢) سمول بن زيد: أحد رؤساء بني قريظة، الذين عادوا الرسول ﷺ ودعوته أشد العدا.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٩٠، وفتح الباري ٧/٣٢٢.

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٨١، وأخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٤، وزاد السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٩٣ نسبه لأبي الشيخ، وإسناده ضعيف. انظر: أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان ٢/٦٥٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦١١، وهذا الأثر ضعيف، لأنه مرسل. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٢/١٧٤.

يقول ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) معلقاً على سبب نزولها: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون من قريبش، وجائز أن يكون من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان. فتأويل الآية إذن: يسألك القوم الذين يسألونك عن الساعة ﴿أَيَّانَ مَرْسَهَا﴾؟ يقول: متى قيامها؟"^(١).

المسألة الثانية: للعلماء في تعيين معنى ﴿تَقُلْتُ﴾ في هذا الموطن قولان مشهوران: القول الأول: كَبُرْتُ، وَعَظُمْتُ، وَشَقَّتْ، وفيه وجهان من التأويل بهذا المعنى: ١- كبر وعظم مجيئها على أهل السموات والأرض^(٢)، قاله ابن عباس^(٣) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما -، والحسن البصري^(٤) (ت: ١١٠هـ). فالكل يخافونها: محسنهم ومسيئهم^(٥)، ففيها من الأهوال والأوجال ما يصعب على جميع الخلائق^(٦).

قال الديريني (ت: ٦٩٧هـ):

وقيل: يعني تَقُلْتُ وَقُوعاً فَكُلُّهُمْ يَخَافُهَا جَمِيعاً^(٧).

٢- عظمت وشقت على السموات والأرض، قاله قتادة^(٨) (ت: ١١٧هـ) في رواية، وابن جريج^(٩) (ت: ١٥٠هـ).

(١) جامع البيان ٦٠٥/١٠.

(٢) انظر: جامع البيان ٦٠٨/١٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩٣/٢، وتفسير القرآن للسمعاني ٢٣٧/٢، والكشاف ٥٣٨/٢، والمحزر الوجيز ٤٨٤/٢، والتفسير الكبير ٤٢٤/٥، والكتاب الفريد ١٧٠/٣، ورموز الكنوز ٣٣٣/٢، وتفسير ابن عرفة ٢٧٠/٢.

(٣) انظر: الوسيط ٤٣٣/٢، وزاد المسير ٢٠٢/٣.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦٠٨/١٠، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٦٢٧/٥، رقم: (٨٦١)، وانظر: الكشف والبيان ٣١٣/٤، وتفسير لقرآن العزيز ١٥٧/٢، والنكت والعيون ٢٨٥/٢، والهداية ٢٦٦٢/٤.

(٥) انظر: الوسيط ٤٣٣/٢، وزاد المسير ٢٠٢/٣.

(٦) انظر: العذب النмир ١٧٤١/٤.

(٧) التيسير في التفسير ٨٩/١، وهذا الوجه من التأويل: اختيار الواحد في الوجيز ٤٢٤/١، وابن الجوزي في تذكرة الأريب ١٩٤/١، والبيضاوي في أسرار التنزيل ٣٧٠/١، وابن الملقن في تفسير غريب القرآن ص ١٤٦، ومحمد رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم ٣٨٦/٩، والشنقيطي في العذب النмир ١٧٤١/٤، حيث عبر عنه بأنه: "أقرب".

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠٦٠٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٠٦/٩، وزاد المسير ٢٠٢/٣.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠٩/١٠، وانظر: المحزر الوجيز ٤٨٤/٢، والهداية ٢٦٦٢/٤.

وعلى هذا الوجه:

أ - تكون ﴿فِي﴾ بمعنى: (على) في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

ب - والمعنى: لا تطبقها السموات والأرض، لعظمها، فالسموات تعجز عن حملها فتنشقق، والنجوم تتناثر، والشمس تُلَف، والبحار تنضب، والقمر يخسف، والجبال تدك، وتبدل الأرض غير الأرض^(٢).

القول الثاني: خفيت، أي: خفي علم الساعة على أهل السموات والأرض ولم يعلموا ميقاتها، فعظم عليهم خفاؤها. قال بهذا المعنى: قتادة^(٣) (ت: ١١٧هـ) في رواية، والسدي^(٤) (ت: ١٢٨هـ)، ومحمد بن السائب الكلبي^(٥) (ت: ١٤٦هـ). وقد ذكر ابن عباس (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - أن "ثَقُلَتْ" يعني: خفيت بلغة قريش^(٦). والقول المذكور أنفاً اختيار جلة من المفسرين^(٧)، وأرباب المعاني^(٨)، وأهل الوجوه والنظائر^(٩).

يقول الديري (ت: ٦٩٧هـ):

..... قُلْ: ثَقُلَتْ عِلْماً فَلَيْسَتْ تُعْرَفُ^(١٠)

(١) انظر: زاد المسير ٢/٣٠٢، والبحر المحيط ٤/٢٢٢، والدر المصون ٥/٥٣٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن للسفعماني ٢/٢٢٧، والمحزر الوجيز ٢/٤٨٤، والتفسير الكبير ٥/٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٦، والعذب النمير ٤/١٧٤٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن ٢/٢٤٤، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢٧، رقم: (٨٦١١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢٧، رقم: (٨٦١٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن ٢/٢٤٤.

(٦) انظر: لغات العرب في القرآن ص ٢٦.

(٧) كمقاتل في تفسيره ١/٤٢٧، والطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٩، والسخاوي في تفسير القرآن ١/٣٠٦.

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٥، وشيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: الفتاوى الكبرى ٣/١١٧.

وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/١٥٢٠، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم ٣/٣٠١.

(٨) كالقراء في معاني القرآن ١/٣٩٩، وأبي عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٣٥، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن

ص ١٧٥، والنحاس في معاني القرآن ٣/١١٧، وابن عزيز في نزهة القلوب ص ١٨٤، ومكي في تفسير المشكل

ص ٤٩، والعزرجي في نفس الصباح ١/٣٥٩، وابن عبد السلام في مجاز القرآن ص ٣١٠، والرازي في تفسير

غريب القرآن ص ٣٨٦، والتركماني في بهجة الأريب ص ٨٨، وابن الهائم في التبيان ص ٢١٤.

(٩) اقتصر على هذا الوجه إسماعيل الضير الحميري في وجوه القرآن ص ٨٩، ومن عده من كتاب الوجوه

والنظائر ممن ساق أوجه المعاني للمفردة، كالدماغاني، وابن الجوزي، لم يتعرضوا لهذه الآية، مع تنوع

معانيها، والاختلاف فيها، ففات محلها وموقعها، لقاصد النظر، وجامع الأثر.

(١٠) التيسير ١/٨٩.

ولا يدع ولا فجأة: أن ما خفي ثقل، وما استتر علمه عظم، وكل ما استصعب إدراك خبره، والوصول إليه، فهو شاق، وكبير على النفس.

قال أبو علي الفارسي: (ت: ٢٧٧هـ): "أصل هذا قولهم: أحطت به علماً، أي: ذل لي فصرت لعلمي به غالباً عليه فخفف عليّ ولم يثقل، كما يثقل ما لا يعلمه عليه^(١)، ألا تراه قال: ﴿ثَقُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)."

وقد صوّب إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) هذا القول - أي: الثاني - واستدل عليه بسياق الآية ولحاظها، حيث قال: "وأولى عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يُطلع عليه منهم أحداً. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهُ عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قُبِهَا إِلَّا هُوَ﴾. وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى، أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك^(٣)."

وقد قصد بعض المفسرين مسلك الجمع، وحملوا المعنى على:

١ - خفاء علمها على أهل السماء والأرض، وكل خفي ثقل.

٢ - عظم أمرها وشدتها عليهم كذلك.

وبعد أن ذكر الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) قول ابن جرير (ت: ٣١٠هـ) وأيده، قال عقبه: "ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض^(٤)."

وجمع بينهما البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) بقوله: ﴿ثَقُلْتُ﴾ أي: الساعة فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد، فأهمهم كلهم عليّ شأنها، ولذلك عبّر بالظرف، فقال: ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نسبة أهلها إلى خفائها والخوف منهما على حد سواء...^(٥).

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "﴿ثَقُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خفي علمها على أهل السموات والأرض، واشتد أمرها أيضاً عليهم، فهم من الساعة مشفقون^(٦)."

(١) في مجمع البيان ٧٧٨/٤، "كما يثقل ما لا تعلمه عليك+."

(٢) انظر: كشف المشكلات ٤٨٧/١، ومجمع البيان ٧٧٨/٤.

(٣) جامع البيان ٦٠٩/١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٥٢٠/٤.

(٥) نظم الدرر ١٦٥/٣.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٢.

وبعد: فهذه محصلة ما ذكره أهل التفسير، والمتجه هو القول بالجمع في الكل، وذلك لأمر:

١- أن المعاني المتقدمة يحتملها اللفظ ويعمها، والقاعدة: أنه متى احتمل اللفظ وجوهاً متعددة، وأمكن حملها عليها جميعاً، فإننا نحمل الآية على جميع تلك المعاني.

٢- أنه يشهد لكلا القولين ما جاء في بعض سياقات الإخبار عن الساعة ووصفها: فالقول الأول بوجهيه، يشهد له إخبار الله تعالى عن زلزلة الساعة، وأنها شيء عظيم، حيث قال في محكم التنزيل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج: ١-٢]. فالوصف بالزلزلة دلالة على انقلاب الموازين الكونية من هول ذلك اليوم العصيب، وفيها يملك المرء الهلع والاضطراب من فجأة الموقف، وعظيم الواقعة، فهو بحق مشهد رهيب، وحدث جليل، ينخلع له القلب، ويحار الفكر فيه، وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ③﴾ [الزلزلة: ١]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ④﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْفِقُونَ ⑤﴾ مِنْهَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ إِلَّا لِلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِئَلَّا يَصْطَلُوا ⑥﴾ [الشورى: ١٧-١٨].

والقول الثاني يشهد له قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ⑦﴾ [طه: ١٥]. يعني: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد، مبالغة في الإخفاء، جرياً على المعهود من كلام العرب، فإن أحدهم إذا أراد المبالغة في كتمان الخبر، واستتاره عن الغير، يقول: (كدت أخفي هذا الأمر عن نفسي) ⑧. والساعة خفيت عن الخلق، ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ⑨﴾ [الأعراف: ١٨٧]. ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ⑩﴾ [لقمان: ٣٤].

٣- أن ما انتزع دليلاً من السياق لمعنى الخفاء، كذلك هو حاصل للقول بعظم وكبر وقوع الساعة على السموات والأرض. وكذا أهلها. من خلال النظر إلى السباق في قوله: ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْحٌ إِلَّا هُوَ ⑪﴾، فتصوير اللفظ بالتجلي دلالة على عظمة المتجلي، وفخامة شأنه.

(١) انظر: جامع البيان ٣٨/١٦، والمحرر الوجيز ٤٠/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٨١.

وفي قيام الساعة من شدة الأهوال والأوجال ما لا تطيقه السموات والأرض، وما يشق على أهلها ويعظم لفضاعة الوقوع، وشدة المكروب.

وبهذا يتبين:

- ١- سعة الدائرة الدلالية لـ ﴿أَثْقَلْتُ﴾ في إطلاقها ههنا.
- ٢- التناغم المعاني في مجموعها.
- ٣- التلاؤم بين مقاماتها عند افتترانها.

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيًّا فَهَرَّتْ بِهِ فَمَلَأَ أَثْقَلَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَبْلًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وردت لفظة: ﴿أَثْقَلْتُ﴾ مرة واحدة في الكتاب الكريم.

وقد قرئت: (أُثْقِلْتُ) على البناء للمفعول، والهمزة فيها للتعدية، أي: أثقلها الحمل، وهي قراءة شاذة بهذه الصيغة^(١)، في مقابل قراءة الجماعة: ﴿أَثْقَلْتُ﴾ على البناء للفاعل.

وفي قوله: ﴿أَثْقَلْتُ﴾ وجوه من التأويل:

الأول: كلفة الحمل، وهذا محمول على الثقل بعينه، وهو معناه الحقيقي، يقال: أثقلت المرأة، فهي (مُثْقَلَة)، كـ (أقربت)، إذا قرب ولادها، وبهذا المعنى قال جماعات من المفسرين^(٢) وأهل الوجوه والنظائر^(٣).

فقوله: ﴿أَثْقَلْتُ﴾:

- صارت ذات ثقل، كما تقول: (أثمر النخل)^(٤).
- أو دخلت في الثقل، كما تقول: (أصبح وأمسى)^(٥).

(١) انظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٥٣، والكشاف ٤/١٧٢، والبحر المحيط ٤/٢٧٧، وروح المعاني ٩/١٣٨.

(٢) انظر: جامع البيان ١/٦١٩، وتفسير السمرقندي ١/٨٨٨، وزاد المسير ٣/٢٠٤، والكتاب الفريد ٣/١٧٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٩، والنسهيلى ٢/٥٧، ونظم الدرر ٣/١٦٨، وإرشاد العقل السليم ٣/٣٠٣، والتحرير والتنوير ٩/٢١٢.

(٣) انظر: قاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٥.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/٥٣٩، وجامع البيان ١٠/٦١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٧، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٨٦، ورموز الكتوز ٢/٣٣٧، والبحر المحيط ٤/٢٧٧، والدر المصون ٥/٥٣٤.

(٥) انظر: البحر المحيط ٤/٢٧٧، والدر المصون ٥/٥٣٥، وروح المعاني ٩/١٣٨.

الثاني: كَبِرَ الولد في بطنها، قاله السدي^(١) (ت: ١٢٨هـ).

الثالث: استبان حملها^(٢)، أي: فاشتهر بها الحمل.

الرابع: دنت ولادتها^(٣).

وكل ما ذكر في حقيقته داخل في عموم هذه اللفظة الموجزة المعجزة، وتفسيراتهم مرادة هنا، وهي متناولة لأجزاء من المعنى، فلا تنافي بينها.

الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

لم يرد لفظ: ﴿أَنْتُمْ﴾ إلا مرة واحدة في كتاب الله الكريم.

﴿أَنْتُمْ﴾ أصله: (تثاقلتم)، أدغمت التاء في الشاء بعد القلب، لاشتراكهما في الهمس، وتقاربهما في المخرج، واجتلبت ألف الوصل للابتداء لما سكن الحرف للإدغام. ولفظه: ماضٍ، ومعناه: المستقبل، ووزنه بعد الإبدال: (أَفَاعِل)، وهذه الصيغة دالة على تكلف الثقل، والتظاهر به^(٤).

والمعنى المعجمي للفظ يحمل معنى التباطؤ، يقال: تثاقل عن الأمر. وأثقل إلى الدنيا: أدخل إليها، وفي المثل: (وطئه وطأة المتثاقيل)، وهو المتحامل على الشيء بوطئه^(٥). وقد قرأ ابن مسعود^(٦) (ت: ٣٥هـ) رضي الله عنه، والأعمش الكوفي^(٧) (ت: ١٤٨هـ): (تثاقلتم) على صيغة: (تَفَاعِل)، وهي قراءة شاذة^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦١٩/١٠، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٦٣٢/٥، رقم: (٨٦٤٤).

(٢) انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٦٥/٢، ومعاني القرآن للنحاس ١١٤/٣، وقاموس القرآن ص ٩٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٠٠/١، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩٥/٢، والوجيز ٤٢٥/١، وتفسير القرآن للسمعاني ٢٣٨/٢.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٣٨/١، ومجاز القرآن ٢٦٠/١، ومعاني القرآن للأخفش ٥٥٤/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦، وجامع البيان ٤٥٨/١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢١٤/٢، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣، ورموز الكنوز ٤٩٥/٢، والبحر المحيط ٤٣/٥، والعذب النمير ٢٣١٣/٥، ومعجم مفردات الأيدال ص ٣٤٢.

(٥) أساس البلاغة ١١٠/١، وانظر المثل في: جمهرة الأمثال ٣٢٨/٢، وأوله: (وطئته) بدلاً من: (وطئه).

(٦) انظر: شواذ القراءات للكرمانى ص ٢١٣، وزاد المسير ٢٩٦/٣، ورموز الكنوز ٤٩٥/٢.

(٧) انظر: المصادر السابقة، ومختصر في شواذ القرآن ص ٥٧، والكشاف ٤٤/٣، والمحزر الوجيز ٣٤/٣، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣.

(٨) انظر: إعراب القراءات الشواذ ١١٧/١.

وقرى (أَثَاقَلْتُمْ)؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ، وهي قراءة شاذة^(١). ونلاحظ: أن صيغة ﴿أَثَاقَلْتُمْ﴾ توحى بالبطء والثقل، لما فيها من تشديد الثاء، الحاصل من الإدغام، فالبطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحى بالحركة البطيئة التي تكون من المتثاقل، بخلاف رصف حروف اثثاقلتم، ففيها خفة وسرعة، بسبب فك الإدغام، وزوال الشدة^(٢).

وللمفسرين، وأرباب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر في المقصود بـ ﴿أَثَاقَلْتُمْ﴾ عدة أقوال:

الأول: اطمأننتم، قاله الضحاك^(٣) (ت: ١٠٥هـ).

الثاني: لزمتم وأقمتم^(٤).

الثالث: ركنتم وقعدتم^(٥).

الرابع: اشتهاه الجلوس^(٦).

الخامس: ملئتم^(٧).

السادس: أخلدتم^(٨).

السابع: تباطأتم^(٩).

الثامن: تقاعستتم^(١٠).

(١) نسبها ابن خالويه في شواذ القرآن ص ٥٧، والكرمانى في شواذ القراءات ص ٢١٣ لأبي عمرو، وبلا نسبة في الكشف ٤٤/٣، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣، والبحر المحيط ٤٣/٥، والدر المصون ٥٠/٦.

(٢) انظر: التعبير الفني ص ١٨٥، والخلاف النصري ص ٤٢٦.

(٣) انظر: النكت والعيون ٣٦٢/٢، وزاد المسير ٢٩٧/٣.

(٤) انظر: جامع البيان ٤٥٨/١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٧/٢، والنكت والعيون ٣٦٢/٢، والوجيز ٤٦٤/١، ومعالم التنزيل ٤٨/٤.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٦) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩.

(٧) انظر: الكشف ٤٤/٣، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣، قال ابن سيده: «وَعَدَاهُ بـ ﴿إِثْمٍ﴾، لأن فيه معنى: ملئتم + المحكم ٣٥٤/٦، وانظر: لسان العرب ٨٧/١ (ثقل).

(٨) انظر: الغريبين ٢٨٧/١، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦.

(٩) انظر: الكشف ٤٦/٥، والعذب النмир ٢٣١٣/٥.

(١٠) انظر: رموز الكنوز ٤٩٥/٢، والعذب النмир ٢٣١٣/٥.

التاسع: تكاسلتم^(١).

وما سيق من المعاني المسرودة داخل في دائرة اللفظ، فهي تعابير متقاربة ومتوافقة للمتمعن فيها، ومنسجمة مع السياق والنظم.

والمقصود: التحذير من التباطؤ والتعاس عن الخروج للجهاد في سبيل الله ميلاً للدنيا، وركوناً للإقامة بالأرض والمساكن، طلباً للراحة والدعة.

يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بـ ﴿إِلَى﴾ والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، ونحوه: ﴿أَخَذَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم^(٢).

الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

تقدم ورود ﴿ثِقَالًا﴾ في آية سورة الأعراف^(٣)، وهذا هو الموطن الثاني – والأخير لهذه اللفظة في النص القرآني.

والثِقَال: جمع ثَقِيل، وال (فَعِيل) إذا كان وصفاً يكثر جمعه على ال (فِعَال) جمع كثرة^(٤)، وفي الآيات ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أول ما نزل من سورة (براءة).

ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن أول ما نزل من سورة (براءة): قوله تعالى:

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

فعن أبي الضحى مسلم بن صبيح (ت: ١٠٠هـ) قال: "أول ما نزل من (براءة): ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٥)."

(١) يقول الدريني في التيسير ٩٦/١:

يُؤَاطِنُو: يُؤَافِقُوا، ائْتَفَقْتُمْ؛ يَعْنِي تَأَقَّلْتُمْ وَقَدْ كَسَلْتُمْ.

وانظر: العذب النمير ٢٣١٢/٥.

(٢) الكشاف ٤٤/٣، وانظر: الكتاب الفريد ٢٦٤/٣، والتحريير والتنوير ١٩٧/١٠.

(٣) انظر: الموضع الثالث من البحث.

(٤) انظر: شذا العرف ص ١٦٠، والعذب النمير ٥/٢٣٤٠، وصيغ المجموع ١/٣٢٢٢.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٥/٢٢٤، رقم: (١٩٣٥٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨٧/٧ للفريابي، وأبي الشيخ.

وعن أبي مالك غزوان الغفاري قال: «أول شيء نزل من (براءة): ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾»^(١).

المسألة الثانية: آية النفير بين النسخ والإحكام.

اختلف أهل العلم في آية النفير، هل هي محكمة أو منسوخة؟

فذهب إلى القول بالنسخ: ابن عباس^(٢) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - بخلاف عنه^(٣)، ومرة الهمداني^(٤) (ت: ٧٦هـ تقريباً)، وعكرمة^(٥) (ت: ١٠٥هـ)، والسدي^(٦) (ت: ١٢٨هـ)، وذكر دعوى النسخ فيها السيوطي^(٧)، ولناسخ لها: آيات العذر، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٣٢]. وذهب إلى أنها محكمة: النحاس^(٨) (ت: ٣٣٨هـ)، وابن الجوزي^(٩) (ت: ٥٩٧هـ)، وابن العربي^(١٠) (ت: ٥٤٣هـ)، ومصطفى زيد^(١١).

والقول بنسخها مرغوب عنه، والصحيح إحكامها، إذ هي داعية للنفرة حين الاستنفار للجهاد في سبيل الله تعالى، والخرج مرفوع عن الضعيف، والمريض، وصاحب الحاجة ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُفْقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١]، ومن أبيح له القعود من المؤمنين، حتى لا تخلو دار الإسلام من أهلها، فيغير

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٥١/٥، رقم: (١٠١٦)، وابن أبي شبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (١٩٣٦١)، وزاد نسبه في الدر المنثور ٣٨٧/٧ لابن المنذر، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢١١/٣، والإتقان ١٧٤/١.

(٢) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢٠٥، رقم: (٣٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٠٣/٦، رقم: (١٠٠٦٢)، والجصاص في أحكام القرآن ١٥٠/٣، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٦٦، وانظر: الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي ص ١١٩، والإيضاح ص ٣١٤، والناسخ والمنسوخ لابن العربي ٢٤٨/٢، وصفوة الراسخ ص ١١٠.

(٣) انظر: صفوة الراسخ ص ١١٠.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: الإيضاح ص ٣١٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٠٣/٦، رقم: (١٠٠٦٣)، وانظر: أسباب نزول القرآن ص ٤١٤، ونواسخ القرآن ص ٣٦٦.

(٧) انظر: الإتقان ١٤٤٦/٤.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ ٢٨٧/٢.

(٩) انظر: نواسخ القرآن ص ٣٦٦.

(١٠) انظر: الناسخ والمنسوخ ٢٤٩/٢.

(١١) انظر: النسخ في القرآن ٧٤٥/٢.

عليها أهل الكفر والعدوان، أولئلا يتم استئصال شأفتهم حين يُغلبون^(١) ﴿وَمَا كَانَتِ
الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفٍّ﴾ [التوبة: ١٢٢].

المسألة الثالثة: الأقوال التفسيرية ﴿ثَقَالًا﴾

اختلف المفسرون، وأصحاب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر، في تعيين المراد بقوله:

﴿ثَقَالًا﴾ - المقابل لقوله: ﴿خَفَافًا﴾ - على أقوال:

الأول: شيوخ^(٢)، قاله أبو طلحة^(٣) (ت: ٤٠٠هـ)، وابن عباس^(٤) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - في رواية، وأبو صالح^(٥) (ت: بين ٩٠ - ١٠٠هـ) في رواية، والشعبي^(٦) (ت: ١٠٣هـ)، ومجاهد^(٧) (ت: ١٠٤هـ) في رواية، وعكرمة^(٨) (ت: ١٠٥هـ)، والضحاك^(٩) (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري^(١٠) (ت: ١١٠هـ)، وشيخ^(١١) بن عطية^(١٢)، وزيد بن أسلم^(١٣) (ت: ١٣٦هـ)، ومقاتل بن حيان^(١٤) (ت: في حدود ١٥٠هـ).

(١) انظر أدلة القائلين بإحكامها في: مصادرهم المتقدمة.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧، وتفسير السمرقندي ٥٢/٢، ووجوه القرآن ص ٨٩، والوجيز ٤٦٥/١، وقاموس القرآن ص ٩٢، وباهر البرهان ٥٩١/١، ونفس الصباح ٣٨١/١، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، ورموز الكنوز ٥٠٣/٢.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٨٥/٢، وابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٤٦٨/١، والطبري في جامع البيان ٤٦٨/١، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب أصل فرض الجهاد، ٣٦/٩، رقم: (١٧٨٠١)، وانظر: الهداية ٣٠٠٧/٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٨٠٢/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (١٩٣٦٢)، والطبري في جامع البيان ٤٦٩/١، وانظر: الهداية ٣٠٠٧/٤.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٨٠٢/٦، وزاد المسير ٣٠٠/٣.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٦٩/١، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والنكت والعيون ٣٦٥/٢.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (٩٣٦٥)، وانظر: الهداية ٣٠٠٧/٤.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٦٩/١، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والهداية ٣٠٠٧/٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (١٩٣٦٣)، (١٩٣٦٧)، وانظر: تفسير كتاب الله العزيز، ١٣٤/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٨٠٢/٦، وأحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والهداية ٣٠٠٧/٤، والنكت والعيون ٣٦٥/٢.

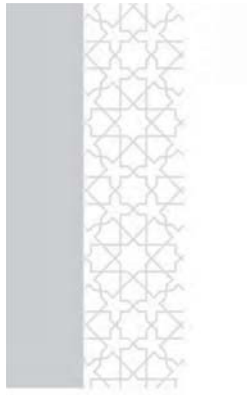
(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٦٩/١، عن (بشر)، ولعله تحرف عن شيخه في تأمل، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٨٠٢/٦، وزاد المسير ٣٠٠/٣.

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٨٠٢/٦.

(١٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٦٩/١.

الثاني: مشاغيل - أي: ذوي أشغال -، قاله الحسن البصري^(١) (ت: ١١٠هـ) في رواية،
والحكم بن عتيبة^(٢) (ت: ١١٥هـ)، وزيد بن علي^(٣) (ت: ١٢٥هـ).
الثالث: غير نشاط، قاله ابن عباس^(٤) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - في رواية،
وقتادة^(٥) (ت: ١١٧هـ)، ومقاتل بن سليمان^(٦) (ت: ١٥٠هـ).
الرابع: فقراء^(٧)، قاله ابن عباس^(٨) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - في رواية،
وأبو صالح^(٩) (ت: بين ٩٠ - ١٠٠هـ) في رواية، ومجاهد^(١٠) (ت: ١٠٤هـ) في رواية.
الخامس: أغنياء^(١١).
السادس: من له عيال^(١٢)، قاله زيد بن أسلم^(١٣) (ت: ١٣٦هـ) في رواية.
السابع: رجالة - أي: مشاة - قاله: ابن عباس^(١٤) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - في
رواية، وابن عمر^(١٥) (ت: ٧٣هـ)، وعطية العوفي^(١٦) (ت: ١١١هـ)، وأبو عمرو الأوزاعي^(١٧) (ت: ١٥٧هـ).

- (١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والكشف ٤٩/٥.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (١٩٣٦٤)، والطبري في جامع البيان ٤٧/١١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٣/٦، رقم: (١٠٠٥٩)، وانظر: الكشف ٤٩/٥، والهداية ٣٠٠٧/٤.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٠.
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٧/١١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٠٢/٦، رقم: (١٠٠٥٨)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والهداية ٣٠٠٨/٤، والنكت والعيون ٣٦٥/٢.
(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٧٦/١، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٢١٥/٤، رقم: (١٩٣٦٣)، والطبري في جامع البيان ٤٧/١١، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣، والهداية ٣٠٠٨/٤، والغريبين ٢٨٧/١، والنكت والعيون ٣٦٥/٢.
(٦) تفسير مقاتل ٤٨/٢.
(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٤٩/٢، ووجوه القرآن ص ٨٩، والنكت والعيون ٣٦٥/٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٢٣.
(٨) انظر: زاد المسير ٣٠٠/٣.
(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٧/١١، وانظر: الهداية ٣٠٠٧/٤.
(١٠) انظر: الهداية ٣٠٠٨/٤، والنكت والعيون ٣٦٥/٢، وزاد المسير ٣٠٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٠.
(١١) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٢٩/١، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧.
(١٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧، ووجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣.
(١٣) انظر: زاد المسير ٣٠٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٠.
(١٤) انظر: زاد المسير ٣٠٠/٣.
(١٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١٥٠/٣.
(١٦) انظر: المصدر السابق.
(١٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٧٢/١١، وانظر: الهداية ٣٠٠٨/٤، والنكت والعيون ٣٦٥/٢.



الثامن: الذي له ضَيْعَةٌ^(١)، قاله ابن زيد^(٢) (ت: ١٨٢هـ).
 التاسع: الفرسان، قاله الأوزاعي^(٣) (ت: ١٥٧هـ).
 العاشر: مُتَأَهِّلِينَ^(٤).
 الحادي عشر: عن المخالفة والمعصية^(٥)، أي: في بعدٍ عن ذلك.
 الثاني عشر: مستكثرين من السلاح^(٦).
 الثالث عشر: مستوطنين^(٧).
 الرابع عشر: الجبان، حكاه النفاش^(٨) (ت: ٣٥١هـ).
 الخامس عشر: كارهين^(٩).
 السادس عشر: الجيش بأسره^(١٠)، وذلك لكثرة عدده.
 السابع عشر: العسر، قاله الحسن البصري^(١١) (ت: ١١٠هـ) في رواية.
 وقد جمع بعضهم جملة من هذه الأقوال في نظمه، كما فعل ابن المنير (ت: ٦٨٣هـ) إذ يقول:

لَفْظٌ خِفَافٌ وَثَقَالٌ أَطْلَقَا عَلَى شَبَابٍ وَشَيْخٍ نَسَقَا
 أَوْ رَاكِبِينَ وَعَلَى الْأَقْدَامِ أَوْ مُوسِمِينَ وَذَوِي إِعْدَامِ
 أَوْ عَزَبًا مَخْفَفًا فِي الْأَثْقَالِ وَمُثْقَلًا فِي الظُّهُورِ بِالْعِيَالِ^(١٢)

(١) الضَّيْعَةُ: العقار، أو الأرض المَعْلَّةُ. انظر: لسان العرب ٢٣٠/٨ (ضيع).
 (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٧٢/١١، وانظر: الهداية ٣٠٠/٨/٤.
 (٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠.
 (٤) انظر: الكشف ٤٩/٥، ومعالم التنزيل ٥٤/٤، وزاد المسير ٣٠٠/٣.
 (٥) انظر: النكت والعيون ٣٦٦/٢، ومسائل منثورة ص ٢٨.
 (٦) انظر: الكشف ٤٩/٥.
 (٧) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤.
 (٨) انظر: المحرر الوجيز ٣٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠.
 (٩) انظر: تفسير القرآن للسخاوي ٣٢٨/١.
 (١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠، والتحرير والتنوير ٢٠٧/١٠.
 (١١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٠٣/٦، رقم: (١٠٠٦٠)، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٢١١/٣، وقد عدّه من أجمع الأقوال، والغريبين ٢٨٧/١، والهداية ٣٠٠/٨/٤.
 (١٢) التيسير العجيب ص ٧٥.

وسلكها نظماً الديريني (ت: ٦١٧هـ) حيث يقول:
 قُلْ: انْفِرُوا سِيرُوا إِلَى الْجِهَادِ فِي حَالٍ تَيْسِيرٍ وَفِي اجْتِهَادٍ
 فِي خِفَّةِ الشَّبَابِ وَالْيَسَارِ وَفِي الرُّكُوبِ وَالْفِرَاحِ جَارِي
 أَوْ ثَقَلِ الشَّيْخُ وَالْإِعْسَارِ وَالْمَشْيِ وَالْأَشْغَالِ وَالْأَعْذَارِ^(١)

وبعد هذا الرصد للمعاني المتكاثرة ﴿ثَقَالًا﴾ يتبين ما يلي:
 أولاً: أن بعض الأوجه قد ينعكس فيكون في الخفيف، كالفقر والغنى، والفارس
 والجبان...

فيقال مثلاً:

– الغني هو الثقيل بمعنى صاحب الشغل، أو الفقير لشدة عوزة.
 – والشجاع هو الثقيل، لوطأته على العدو، أو الجبان لثقل الخروج عليه ومشقته.
 ثانياً: أن هذه التفسيرات وتقاسيمها، إنما هي تمثيل لحال الثقل، بذكر صورة من
 صوره على سبيل التمثيل لا التخصيص، فهي تصدق عليه ولا تستوعبه.

ثالثاً: سعة مدلول ﴿ثَقَالًا﴾ في هذا الموضع، فهو يتناول:

١- الأجسام وصفتها: كالكبر والمرض والكسل...

٢- والأسباب والأحوال: كالفقر، والشواغل، ووجود العيال...

لذا جاءت الأقوال تمثيلاً لهذا المعنى العام، فهذا الوصف – أعني: ثقلاً – ينطبق على
 كل من لزمه الثقل وأعسرته من الأنواع المذكورة المختلفة، من غير تخصيص لهذه
 الكلمة بأحد أفرادها، أو أنواعها، وبهذا ينتظم المعنى ولا يختل.

رابعاً: جاءت ﴿ثَقَالًا﴾: وجيزة في لفظها، غزيرة في معناها، وهذا من إعجاز القرآن،
 وبيانه الباهر، حيث تختزل المفردة الواحدة كمّاً جليلاً من المعاني، وتجمع وجوهاً وفيرة
 من البيان.

وقد رجح كبير أعلام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) القول بالعموم
 دون تخصيص حيث قال:

(١) التيسير في التفسير ٩٧/١.

”وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله، خِفافاً وثِقَالاً... ويدخل في الثِّقال كلُّ من كان بخلاف ذلك - أي: الخفاف - من ضعيف الجسم وعليه وسقيمه، ومن معسرٍ من المال، ومُشتغلٍ بضِيعَةٍ ومَعَاشٍ، ومن كان لا ظَهْرَ له ولا رِكابٍ، والشيخُ ذو السِّينِ والعيال.

فإذ كان قد يدخل في الخِفاف والثِّقال مَنْ وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله - جل ثناؤه - خصَّ من ذلك صِنْفاً دون صنفٍ في الكتاب، ولا على لسان الرسول ﷺ، ولا نصبَ على خُصوصه دليلاً، وجَب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خِفافاً وثِقَالاً مع رسوله ﷺ على كل حالٍ من أحوال الخِفَةِ والثِّقَلِ^(١).

وقال أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) بعد أن استاق جملة من الأقول: ”كل هذه الوجوه يحتمله اللفظ، فالواجب أن يعمَّها، إذ لم تقم دلالة التخصيص“^(٢).

ولما أورد الراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ) بعض أوجه تأويلها، قال عقبها: ”وكل ذلك يدخل في عمومها، فإن القصد بالآية الحثُّ على النفر على كل حالٍ تصعَّب أو تسهَّلَظ“^(٣).

وكذا أجرى الآية على عمومها جملة من العلماء^(٤).

الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

هذا هو الموطن الثاني من مواطن ورود كلمة: ﴿مِثْقَالٍ﴾.

والكلام هنا لا يختلف عن سابقه في الموضع الأول، بما يغني عن إعادته.

(١) جامع البيان ٤٧٤/١١.

(٢) أحكام القرآن ١٥٠/٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٥١٦/٢، والمحرر الوجيز ٣٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠.

والتسهيل ٧٦/٢، والتحرير والتنوير ٢٠٧/١٠، والعذب النمير ٢٣٤٠/٥، وتفسير القرآن الحكيم ٤٠٥/١٠.

وفي الآية بيان أنه تعالى لا يغيب عن علمه، ولا يخفى عليه وزن ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ثقل وزن ذرّة موجودة في هذا الكون، مما لا تدركه العين المجردة، ولا أكبر ولا أعظم مقدار موجود في هذا الوجود، إلا وهو معلوم له، ومسجل في كتاب عظيم الشأن، فيه مقادير الأمور، ورصد الأعمال، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْفَافَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].
لم يرد لفظ: ﴿الثِّقَالَ﴾ معرباً ب (أل) إلا مرة واحدة في الذكر الحكيم.
و﴿الثِّقَالَ﴾ جمع ثقيلة، ووصف بها السحاب، لأنها اسم جنس في معنى الجمع، تقول: سحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كرام^(١).
”والسحاب يكون ثقيلاً: بمقدار ما في خلاله من البخار، وعلامة ثقله: قربه من الأرض، وبطء تنقله بالرياح“^(٢).

والسحاب الثقال يُقابل السحاب الجَهَام، الذي لا ماء فيه^(٣).

قال قيس بن الخطيم (ت: نحو ٢ ق هـ):

فمَارَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوْذَانَهَا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَلَا مَزْنَةً دَلُوحٌ تَكْشِفُ أَدْجَانَهَا^(٤)

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٦٠/٢، وجامع البيان ٤٧٥/٣، والكشاف ٣٢٩/٣، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٤٢٢/١، والكتاب الفريد ٣١٢/٣، وإرشاد العقل السليم ٩/٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٠٤/١٣، وانظر: تفسير المراغي ٨١/١٣.

(٣) انظر: الصحاح ١٤٠٢/٢ (جهم).

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ص ٦٧ - ٦٨، وانظر: الأغاني ٦١٨/١.

والروضة: البقعة يجتمع إليها الماء فيكثر نباتها، ولا يقال ذلك في مواضع الشجر.

والحوذان: نبت طيب الريح له زهرة حسنة.

والمزنة: السحابة البيضاء، وجمعها: مَزَن.

والدلوح: التي تجيء مثقلة، يقال: مرَّ دَلَحٌ بحمله، إذا مرَّ به مثقلاً.

والدجن: إلياس الغيم الأرض، وإذا انكشف السواد وبقي البياض كان أحسن لها.

انظر: المصدرين السابقين، ولسان العرب ١٦٢/٧ (روض)، ٤٨٨/٣ (حوذ)، ٤٠٦/١٣ (مزن)، ٤٣٥/٢ (دجن).

(دج)، ١٤٧/١٣ (دجن).

ومعنى ﴿الْثِقَالُ﴾ هنا: الذي فيه الماء، قاله مجاهد^(١) (ت: ١٠٤هـ)، وقتادة^(٢) (ت: ١١٧هـ)، أي: الممتلئ، أو الكثير، أو الحامل الماء، وبهذا المعنى اتفقت كلمة المفسرين قاطبة^(٣)، فهو مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧].

الموضع العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَنَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ﴾ إلى بَلَدٍ لَّئِىْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ [النحل: ٧].

لفظ: ﴿أَنْفَالَكُمْ﴾ ورد مرة واحدة في التنزيل العزيز.

والأنفال: جمع (ثَقْل)، أو (ثَقَل) ^(٤) - بفتحيتين -.

وللعلماء بالتفسير، وأصحاب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر في معنى

﴿أَنْفَالَكُمْ﴾ عدة أقوال:

الأول: أمتعتكم^(٥).

يقول ابن المنير (ت: ٦٨٣هـ):

”وَالثَّقْلُ لِلْمَتَاعِ فِيمَا يُنْقَلُ“^(٦)

.....

الثاني: أمتعتكم، وزادكم^(٧).

الثالث: أحمالكم^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٦٦/١٣، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ٣٩٨/٨ لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر: تفسير كتاب الله العزيز ٢٩٨/٢، والنكت والعيون ١٠٠/٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣٠٣/٣، والبحر المحيط ٣٦٦/٥.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ١٧٠/٢، وجامع البيان ٤٧٥/٣، وتفسير السمرقندي ١٨٧/٢، والكشاف ٣٣٩/٣، ووجوه القرآن ص ٨٨، والهداية ٣١٩٩/٥، والوجيز ١٦٧/١، والملخص في إعراب القرآن ص ٨٠، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٤، والمحرر الوجيز ٣٠٣/٣، وزاد المسير ٢٣٢/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٤/١٢، والتسهيل ١٣٢/٢، والبحر المحيط ٣٦٦/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٨٣/٤، وإرشاد العقل السليم ٩/٥، والتحرير والتنوير ١٠٤/١٣.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٧٩/٩ (ثقل)، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٨٦، والتحرير والتنوير ١٠٦/١٤.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٨٠/٩ (ثقل)، والوجيز ٦٠١/١، وتفسير القرآن للسمعاني ١٦٠/٣، ومجمع البيان ٥٣٩/٦، وزاد المسير ٣١٤/٤، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والبحر المحيط ٤٦١/٥.

(٦) التيسير العجيب ص ٩٤.

(٧) انظر: تفسير السمرقندي ٢٢٨/٢، ووجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٨) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، ومعالم التنزيل ٩/٥، وأنوار التنزيل ٥٣٨/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٧٩/٥، وروح المعاني ٩٩/١٤.

الرابع: أبدانكم^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].
الخامس: ذنوبكم^(٢).

وهذا القول غريب وبعيد، لا مستند له، لأن السياق في الحمل الحسي، ومعرض المنة بتسخير هذه الأنعام لحمل ما هو ثقیل، وفي ذلك حمل لدلالة اللفظ على معناه الأصلي الحقيقي، وهو المتبادر من معنى الآية، ولا مصرف لغيره إلا بدليل.
إذن يتبين أن إطلاق الأثقال على الذنوب هنا، تحميل للآية لمعنى لا تحتمله، ولا يعضده نقل عن السلف الصالح، فلا يعول عليه.

وما ذكر من التأويلات الأخرى لمعنى ﴿أَثْقَالَكُمْ﴾ مرادة هنا، وتدخل في دائرة اللفظ، والحمل على العموم أظهر، فيدخل كل ما يثقل الإنسان حمله من الأمتعة، والزاد، والبضائع، مع تسخيرها له بحمل بدنه أيضاً.
يقول السعدي (ت: ١٢٧٦هـ): "﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم"^(٣).

الموضع الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
هذا هو الموطن الثالث للفظ: ﴿مِثْقَالَ﴾ في القرآن المجيد.
وفي قوله: ﴿مِثْقَالَ﴾ قراءتان:
القراءة الأولى: (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ) بالرفع.
قرأها المدنيان: أبو جعفر (ت: ١٣٠هـ)، ونافع (ت: ١٦٩هـ).
والوجه: أن ﴿كَانَ﴾ تامة، فتكون بمعنى حدث ووقع، أي: إن وقع مثقال حبة، و﴿مِثْقَالٌ﴾ فاعل له.

(١) انظر: الهداية ٣٩٥٢/٦، والكشاف ٤٢٥/٣، والمحرر الوجيز ٣٨٠/٣، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/١٢، ومدارك التنزيل ٢٨١/٢، والتسهيل ١٥٠/٢، والبحر المحيط ٤٦٢/٥، وغرائب القرآن ٢٤٥/٤، وإرشاد العقل السليم ٩٧/٥، وروح المعاني ٩٩/٤.
(٢) رموز الكنوز ٨/٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٨، وانظر: المحرر الوجيز ٣٨٠/٣.

القراءة الثانية: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ ثَقَالٍ حَبْكَةٍ﴾ بالنصب.

والوجه: أن ﴿كَانَتْ﴾ ناقصة، تحتاج إلى اسمٍ وخبر، واسمها: مضمر يدل عليه ما قبله من قوله: ﴿فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، والتقدير: وإن كان الشيء أو الظلّامة مثقال حبة، وانتصب ﴿مِنْ ثَقَالٍ حَبْكَةٍ﴾ على أنه خبر كان^(١).

وقد ورد عن السدي (ت: ١٢٨هـ) أنه فسر ﴿مِنْ ثَقَالٍ﴾ هنا: بال (وزن)، حيث قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ ثَقَالٍ حَبْكَةٍ﴾: "وزن حبة"^(٢).

وكلمة المفسرين متطابقة على هذا المعنى، كما الموضع الأول سواء بسواء.

الموضع الثاني عشر:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

﴿ثَقُلَتْ﴾ هنا هي الموطن الثاني الوارد في الكتاب الحكيم.

وقد تواطأ تفسيرها عند المفسرين، كما في الموضع الثاني، بمعنى: رجعت، وكثرت، فلا مزيد على ما ذكره.

الموضع الثالث والرابع والخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّأُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْرَوْنَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ورد لفظ: (أثقالاً) مرة واحدة في القرآن العظيم، بينما لفظ: ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ ورد مرتين فقط.

وقد اتفقت كلمة أجلاء المفسرين^(٣)، وأرباب المعاني^(٤)، وأهل الوجوه والنظائر^(٥)، مع تنوع عباراتهم، وتعدد تعبيراتهم، أن المراد بالأثقال – الثلاثة – هنا: الأوزار، والذنوب، والآثام، والخطايا، والسيئات، وهذه لإطلاقات تصب في منحى واحد.

(١) انظر القراءتين في: معرفة قراءات أهل الأمصار ص ٤١٩، والمبسوط ص ٢٥٣، والتبصرة ص ٢٦٢، والتلخيص ص ٣٢٢، والمستنير ٣٠٠/٢، والنشر ٣٢٤/٢.

وانظر توجيههما في: علل القراءات ٤٠٧/٢، والحجة لابن خالويه ص ٢٤٩، وإعراب القراءات السبع ٦١/٢، والحجة لأبي علي الفارسي ١٥٨/٣، والكشف ١١٧/٢، والموضع ٨٦٢/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٣٠٠/١٠.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ١٣/٢، وتفسير يحيى بن سلام ٦٢٠/٢، وجامع البيان ٣٦٩/١٨، ونكت القرآن ٥٧٧/٣، وتفسير السمرقندي ٣٢/٢، وتفسير القرآن العزيز ٢٤٢/٣، والكشف والبيان ٢٧٢/٧.

فعن قتادة (ت: ١١٧هـ): ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ﴾ أي: أوزارهم. ﴿وَأَنفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ﴾. يقول: وأوزار من أضلوا^(٣).

وكان ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) يقرأ قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] ويقول: "فهذا قوله: ﴿وَأَنفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ﴾"^(٤).

= والتعبير عن الخطايا بالأثقال، للإيدان بغاية ثقلها، وكونها فادحة^(٥). وقد بين الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) أن قوله: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ﴾: "إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزار آخر بسبب ما أضلوا من الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً"^(٦). إذن فهذه الآية إقسام من العليّ الجليل بحمل أولئك لذنوبهم الثقيلة التي اقترفوها بأنفسهم، وكسب أيديهم، يضاف لها أوزار وآثام من أضلوهم وصرفوهم عن سبيل الله، فهم يحملون أوزارهم وذنوب من اتبعهم في ضلالهم وغوايتهم.

وهذه الآية لا تتعارض مع الآيات الدالة على أنه لا يحمل أحد وزر غيره، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥]، لأن أولئك "الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم، لأنهم تحملوا وزر الضلال،

والوجيز ٨٣٠/٢، ومعالم التنزيل ٢٣٥/٦، والكشاف ٥٤٠/٤، والمحرر الوجيز ٣٠٩/٤، وزاد المسير ١٢٤/٦، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٣/١٦، والبحر المحيط ١٤٠/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٦٨٦/٦، وروح المعاني ١٤٠/٢٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٢٧، والتحرير والتنوير ٢٢١/٢٠.
(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٣١٤/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٢٧، ومعاني القرآن للزجاج ١٦٢/٤، ومعاني القرآن للنحاس ٢١٦/٥، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، وإيجاز البيان ١٠٨/٢، ونفس الصباح ٦٧/٢، وتذكرة الأريب ٦٥/٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وعمدة الحفاظ ٣٢٤/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٥/٢.

(٢) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٦٩/١٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣٠٤٠/٩، رقم: (١٧١٨٧)، (١٧١٨٨)، (١٧١٨٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٦٩/١٨.

(٥) روح المعاني ١٤٢/١٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٦٨٦/٦.

ووزر الإضلال^(١)، فـ "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"^(٢).

الموضع السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ لَهُمُ اِيْمَانًا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اَللّٰهُ اِنَّ اَللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

هذا هو الموطن الثالث لورود لفظ: ﴿مِثْقَالٌ﴾ في النبأ العظيم.

وفي لفظ: ﴿مِثْقَالٌ﴾ هنا قراءتان:

القراءة الأولى: بالرفع في (مِثْقَالٌ): (اِنْ تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ).

قرأها أبو جعفر المدني (ت: ٣٠٠هـ)، ونافع المدني (ت: ١٦٩هـ).

ووجه القراءة: أن قوله: (مِثْقَالٌ) فاعل (تك)، وكان هي التامة التي لا تحتاج إلى خبر، والمعنى: إن تقع مثقال حبة.

والقراءة الثانية: بالنصب في ﴿مِثْقَالٌ﴾: ﴿اِنْ تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ وهي قراءة الجماعة.

والوجه: أن كان ههنا ناقصة، وهي المحتاجة إلى الخبر، واسمها مضمرة، والتقدير: إن كانت المظلمة أو السيئة ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾، وخبرها: ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾^(٣).

و ﴿مِثْقَالٌ﴾ على تأويل: زنة أو وزن، أو قدر أو مقدار، وعلى هذا كتب التفاسير اتفقت^(٤)، وبمثل معنى الموضع الأول اتجهت.

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ١٧٢، وانظر: عيون المسائل ص ٢٥٨، وياهر البرهان ١٠٩٥/٢، وتفسير القرآن للسخاوي ١٦٢/٢، وأنموذج جليل ص ٣٩٠، وأضواء البيان ١٩٣/٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ٧٠٥/٢، رقم: (١٠١٧).

قال شارح الحديث النووي: "فيه الحث على الابتداء بالخير، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل، والمستقبحات + المنهاج ١٠٦/٧.

(٣) انظر: القراءتين في: معرفة قراءات أهل الأمصار ص ٥١٣، والمبسوط ص ٢٥٣، والتذكرة ٣٣٠/٢، والمستنير ٣٠٠/٢، والنشر ٣٢٤/٢.

وانظر توجيههما في: معاني القراءات للأزهري ص ٣٠، والحجة للفارسي ٢٧٤/٣، وحجة القراءات ص ٥٦٥، وشرح الهداية ص ٦١٣، والموضح ١٠١٤/٢.

وهنا قال: ﴿مُثْقَلٌ حَبَقَ﴾ لأن الخطاب خاص بابن لقمان، فناسب ذكر الحبة التي هي أظهر وأجلى، وأخص من الذر.

الموضع السابع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَ كُنُوزُكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْرِضُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

لفظ: ﴿مِثْقَالٌ﴾ هنا، هو الموطن الخامس في الحق المبين. وهو بمعنى الموضع الأول المتقدم المفسر بالوزن والمقدار، وبهذا جاءت عبارات علماء أهل التفسير من الأوائل والأواخر^(١).

الموضع الثامن عشر:

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].
الموضع الخامس لـ ﴿مِثْقَالٌ﴾ ورد هنا في السياق القرآني.
وهو بمعنى: الوزن، أو المقدار، كما تقدم في الموضع الأول، وبه انطلقت نصوص المفسرين، وتتابع تأويلهم^(٢).

الموضع التاسع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].
وردت كلمة: ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ مرة واحدة في البرهان المبين.

(١) انظر: تفسير مقاتل ٢١/٣، وتفسير يحيى بن سلام ٦٧٥/٢، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٣٦/٣، وتفسير السمرقندي ٢٢/٣، والمحرر الوجيز ٣٥٠/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٧٧/١٦، والتسهيل ١٢٧/٣، والبحر المحيط ١٨٢/٧، وروح المعاني ٨٨/١١، والتحرير والتنوير ١٦٣/٢١.
(٢) انظر: تفسير مقاتل ٥٨/٣، وتفسير يحيى بن سلام ٧٤٥/٢، وجامع البيان ٢١١/١٩، وتفسير السمرقندي ٦٥/٣، والكشف والبيان ٧٠/٨، ومعالم التنزيل ٣٨٦/٦، والمحرر الوجيز ٤٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٥، ولباب التأويل ٤١٧/٣، وإرشاد العقل السليم ١٢١/٧، وروح المعاني ١٠٦/٢٢، وأضواء البيان ٤٠٢/٦.
(٣) انظر: تفسير مقاتل ٦٤/٣، وتفسير يحيى بن سلام ٧٥٧/٢، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٩٧/٣، وجامع البيان ٢٧٢/١٩، والهداية ٥١٢٠/٩، وروح المعاني ١٣٦/٢٢، والتحرير والتنوير ١٨٦/٢٢.

ولم تختلف كلمة المفسرين^(١)، وعلماء المعاني^(٢)، أن التي أثقلها حمل الذنوب، والأوزار، والآثام، هي معنى ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ هنا. وهو قول مجاهد^(٣) (ت: ١٠٤هـ)، وقتادة^(٤) (ت: ١١٧هـ)، وعطاء الخراساني^(٥) (ت: ١٣٥هـ). يقول الديريني (ت: ٦٩٧هـ):

مُثْقَلَةٌ: أَي ذَاتَ ذَنْبٍ يَكْبُرُ تَقْدِيرُهُ إِنْ تَدَّعَى نَفْسٌ يُضْمَرُ^(٦)

والآية إخبار من الله تعالى بكون كل نفس مرهونة بما كسبت، فلا تحمل النفس المذنب ذنب نفس أخرى، بل تؤاخذ على فعلها وجرمها الذي اقترفته، أو تسببت فيه، وإن سألت نفس قد أُنْأَت بها الذنوب والأوزار، من يحمل عنها تلك الخطايا والآثام، لم تجد من يتولى حملها وقبولها، ولو كان من أهل النسبة والقربة، فالكل في موقف مهول، وعن حمل الذنوب نفور.

يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره: وإن تسأل ذات تُثْقَل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك، لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها، ولو كان الذي سألته ذلك ذا قرابة له من أب أو ابن أو أخ"^(٧).

الموضع المتم العشرين:

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

(١) انظر: تفسير مقاتل ٧٥/٣، وجامع البيان ٣٥٣/١٩، وتفسير السمرقندي ٨٤/٣، وتفسير القرآن العزيز ٢٨/٤، والكشف والبيان ١٠٤/٨، والهداية ٥٩٦٧/٩، والوجيز ٨٩١/٢، وتفسير القرآن للسمعي ٣٥٣/٣، ومعالم التنزيل ٤١٧/٦، والمحرم الوجيز ٤٣٥/٤، وزاد المسير ٢٥١/٦، ورموز الكنوز ٢٨٢/٦، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/١٧، ولب التأويل ٤٥٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩١١/٦، واللباب ١٢١/٦، وإرشاد العقل السليم ١٤٩/٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٨.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٦٨/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٠، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٧/٤، ومعاني القرآن للنحاس ٤٤٩/٥، والغريبين ٢٨٨/١، ونفس الصباح ٥٩٦/٢، وتذكرة الأريب ٩٩/٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وبهجة الأريب ص ١٧٣، وعمدة الحفاظ ٣٢٤/١، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٣١٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٥٤/١٩، وزاد نسبه في الدر المنثور ٢٧٢/١٢ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وانظر: تفسير يحيى بن سلام ٧٨٣/٢، والنكت والعيون ٤٦٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٥٤/١٩، وزاد نسبه في الدر المنثور ٢٧٣/١٢ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٢٧١/١٢.

(٦) التيسير في التفسير ٢١١/١.

(٧) جامع البيان ٣٥٣/١٩.

ورد لفظ: ﴿مُتَّقِلُونَ﴾ مرتين في كتاب الله الكريم، وههنا أول مواطن الورد.
والمتقل: أصله المحمل بشيء ثقل، ومن أثقله الحمل: أتعبه. يقال: لحق فلاناً دين فادح، أو دين ثقل، فهو مثقل^(١).

و﴿مُتَّقِلُونَ﴾ هنا، أي: مجهودون، أو متعبون، أو مغتمون، أو مشقوق عليهم، أو محملون ما يرهقهم، وينحو هذه المعاني المتشابهة سطر أهل التأويل في الضائر^(٢).
قال قتادة: (ت: ١٧هـ): ﴿أَمْ سَتُلْهِمُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ﴾. يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجراً جهدهم، فلا يستطيعون الإسلام؟^(٣).

والآية مسوقة ضمن منظومة آيات الرد على الكافرين. وتوبيخ المفترين. فجاءت هذه الآية لتأكيد صدق نبوة المصطفى ﷺ، وبعثه بالرسالة الحقة.

فالنبي ﷺ لم يطلب منهم عوضاً مادياً على تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، حتى يكونوا في حالة من الجهد والمشقة، من التزام غرامة لا تجب عليهم. قد طوقتهم وأسرتهم، فاستقلوا إجابته، والإذعان لدعوته، بل ليس الأمر كذلك، فالشفيق ﷺ هو الحريص على دعوتهم وتعليمهم وإيمانهم، فلم يطلب أجراً قط، ولم يسألهم أموالهم، بل بذل المال الكثير لاستمالتهم لنداء الحق، واثلف قلوبهم بجزيل المكرمات، حتى يدخلوا في دين الله أفراداً وجماعات.

يقول ابن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ): "وأما قوله تعالى: ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ﴾ فمعناه: فهُمْ مِنْ دَيْنِ التَّزْمُونِ مشقوق عليهم، فاستعار الثقل للمشقة الشديدة، لأن حمل الأثقال شاق، فشبه مشقة حمل الديون بمشقة حمل الأثقال"^(٤).

الموضع الحادي والعشرون:

قوله تعالى: ﴿سَتَرْغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].
ورد لفظ: ﴿الثَّقَلَانِ﴾ مرة واحدة في تنزيل رب العالمين.
وقد أطبقت كلمة المفسرين^(١)، واللغويين من كتبة معاني القرآن وغريبه^(٢)، ومدوني الوجوه والنظائر^(٣)، على أن ﴿الثَّقَلَانِ﴾ يراد بهما: الإنس والجن.

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني ٢٧٩/٥، والفتوحات الإلهية ٣١٧/٤، والتحرير والتنوير ٧٥/٢٧.
(٢) انظر: جامع البيان ٥٩٩/٢١، والكشف والبيان ١٣٢/٩، والوجيز ١٠٢٦/٢، ومجاز القرآن ص ٣١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٢١/٧، والفتوحات الإلهية ٣١٧/٤، وروح المعاني ٣٨/٢٧، والتحرير والتنوير ٧٥/٢٧.
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٩٩/٢١، وانظر: الهداية ٧١٣٣/١١.
(٤) مجاز القرآن ص ٣١٠.

﴿الْثَقَلَيْنِ﴾: تثنية (ثَقَلَ)، وهو اسم مفرد لمجموع الإنس والجن^(٤)، لذا قال في الآية: ﴿لَكُمْ﴾: لأن الثقلين. وإن كان بلفظ التثنية فمعناه الجمع^(٥).

يقول ابن عاشور: (ت: ١٣٩٣هـ): "وأظن أن هذا اللفظ لم يطلق على مجموع النوعين قبل القرآن، فهو من أعلام الأجناس بالغلبة"^(٦).

وقد اختلف في سبب تسمية الإنس والجن بالثقلين، على وجوه متعددة:
الأول: لعظم قدرهما، وفخامة شأنهما، فقد فضلا بالتكليف، وخصاً بالتمييز والعقل،
عن سائر الحيوان المخلوق في الأرض^(٧).

الثاني: لثقلهما على الأرض، قاله محمد بن القاسم الأنباري^(٨) (ت: ٣٢٨هـ).
الثالث: لثقلهما بالذنوب، قاله الحسن البصري^(٩) (ت: ١١٠هـ)، وجعفر الصادق^(١٠) (ت: ١٤٨هـ).

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/٣٠٦، وتفسير كتاب الله العزيز ٤/٢٦٥، وجامع البيان ٧/٤٤٧، وتفسير السمرقندي ٣/٣٠٧، والكشف والبيان ٩/٨٦، والنكت والعيون ٥/٤٣٤، والوجيز ٢/١٠٥٤، ومعالم التنزيل ٧/٧٧٤، والكشاف ٦/١٣، وامحرر الوجيز ٥/٢٣٠، وزاد المسير ٧/٢٦٢، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/٤١٧، والتفسير الكبير ١٠/٣٦١، ورموز الكنوز ٩/٥٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، ولباب التأويل ٤/٢٢٨، والبحر المحيط ٨/١٩٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/٣٢٧، وغرائب القرآن ٦/٢٢٩، وتبصير الرحمن ٢/٣١٣، والجواهر الحسان ٣/٢٧٤، وإرشاد العقل السليم ٨/١٨١، وروح المعاني ٢٧/١١٢، والتحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/٩٩، وياقوتة الصراط ص ٤٩٧، والغريبين ١/٢٨٩، وإيجاز البيان ٢/٢٣٠، ونفس الصباح ٢/٦٨٧، وتذكرة الأريب ٢/١٩٦، والتيسير في التفسير ١/٢٥٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وغرر البيان ص ٤٩٨، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥، وبهجة الأريب ص ٢٠٦، وتفسير غرائب القرآن لابن الملقن ص ٤٣٣، والتبيان ص ٤٠١، وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٣٥.

(٣) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٤، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٥) انظر: المحكم ٦/٣٥٥.

(٦) التحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٧) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٨ (ثقل)، والغريبين ١/٢٨٩، والكشف والبيان ٩/١٨٦، ومعالم التنزيل ٧/٤٤٧، وإيجاز البيان ٢٣٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥.

(٨) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٩، وبلا نسبة في النكت والعيون ٥/٤٣٤، ومعالم التنزيل ٧/٤٤٧، والكشاف ٦/١٣، وزاد المسير ٧/٢٦٢، والتفسير الكبير ١٠/٣٦١، ورموز الكنوز ٩/٥٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، والبحر المحيط ٨/١٩٢، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥.

(٩) انظر: روح المعاني ٢٧/١١٢.

الرابع: لكثرتهم^(٢).

الخامس: لرزانة آرائهما^(٣).

الموضع الثاني والعشرون:

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦].

الموطن الثاني لمفردة: ﴿مُثْقَلُونَ﴾ ورد في هذه السورة الكريمة. وهي بمثل معنى الموضع المتم العشرين، بما يغني عن إعادته هنا.

الموضع الثالث والعشرون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: د].

ورد لفظ: ﴿ثَقِيلًا﴾ مرتين في بلاغ رب العالمين، وهنا أول مواطن ورودها. وفي الآية تنويه بشأن القرآن الكريم، البالغ ذروة المجد، وعلو الشرف، إذ سيلقى ويوحى لنبينا محمد ﷺ كلاماً عظيماً، جليل القدر. وفي معنى ﴿ثَقِيلًا﴾ - الموصوف به القرآن - تأويلات متعددة: الأول: شدته على النبي ﷺ عند تلقيه، ووحيه إليه^(٤)، وهو قول عائشة^(٥) (ت: ٨ هـ) - رضي الله عنها -.

(١) انظر: الكشف والبيان ١٨٦/٩، ومعالم التنزيل ٤٧/٧، والمحرر الوجيز ٢٣٠/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٢٠، وبلا نسبة في تفسير القرآن للسخاوي ٤١٧/٢، والدر المصون ١٧٠/١٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ٣٣٥/٢.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم ١٨١/٨، وروح المعاني ١١٢/٢٧.

(٤) انظر: جامع البيان ٣٦٥/٢٣، وصبو الطبري القول به، وتهذيب اللغة ٧٩/٩ (ثقل) وهو اختيار الأزهري، وتفسير السمرقندي ٤١٦/٣، ومختصر قيام الليل ص ٣١، والكشف والبيان ٦٠/١٠، والهداية ٧٧٨٩/١٢، والنكت والعيون ١٢٦/٦، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٨، والكشاف ٤٢/٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٣٢٨/٤، وهو اختياره، والمحرر الوجيز ٣٨٧/٥، وباهر البرهان ١٥٧٠/٣، وزاد المسير ١١٣/٨، والتفسير الكبير ٦٨٤/١٠، وتفسير القرآن للسخاوي ٢٢٨/٢، ورموز الكنوز ٣٢٩/٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١، والبحر المحيط ٣٥٤/٨، وبهجة الأريب ص ٢٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٤٤/٨، وروح المعاني ١٠٤/٢٩. وقد استبعد عبد الرحمن الميداني هذا التأويل، حيث قال: "وأما حمل ثقله على ثقل تنزيله على جسد الرسول عند نزول الوحي به، فهذا الثقل هو من أثر الوحي، لا من أثر ثقل آيات القرآن، وهو مستبعد أيضاً" معارج التفكير ١٦٢/١.

فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم^(١) عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول".

قالت عائشة - رضي الله عنها - : "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد^(٢) عرقاً^(٣)".

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمْلِئُهَا عَلِيٌّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك

ولا وجه عندي لهذا الاستبعاد، فهذا التأويل قال به أجلاء من العلماء، فالثقل وإن كان ناتج أثر الوحي، فهو مرتبط بالأصل الذي بسببه حصل ذلك الثقل، فلا يقطع عنه النظر، وما ثقل نزوله ثقل تلقيه، وذلك دلالة عظيمة وفخامة وثقل ذلك المنزل، لذا كان يلحق النبي ﷺ شدة ومشفقة حين تلقي التنزيل، يدل على ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان النبي ﷺ إذا نزل عليه وجد ما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢١٢/٨، رقم: (٤٧٧٨) وحسن إسناده محققه حسين سليم أحمد، وقال الهيتمي في مجمع الزوائد ١٩٨/٧، برقم: (١١٤٤٥): "رواه أبو يعلى، وإسناده جيد"، كما يستأنس بما ورد عن أسماء بنت يزيد، قالت: "نزلت الأنعام على النبي ﷺ جملة واحدة، وأنا أخذه بزمام ناقة النبي ﷺ، إن كانت من ثقلها لتكسر عظم الناقة". أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٨/٢٤، رقم: (٤٤٩)، قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٥٩/٧، رقم: (١٠٩٩٣): "رواه الطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وقد وثق، وانظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - القسم الصحيح - للطرموني ٢٥٨/١.

(١) انظر: النكت والعيون ١٢٦/٦، وزاد المسير ١١٢/٨.
(٢) صلصلة: صوت الحديد إذا حرك، ثم أطلق على كل صوت له طنين، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤٦/٣، وفتح الباري ٢٧/١.

(٣) فيفصم: أي: يقطع، وأصل الفصم: القطع بلا إبانة، انظر: الغريبي ٥٣/٤، وفتح الباري ٢٨/١.
(٤) ليتفصد: أي: يسيل، والفصد: قطع العرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعرق المفصود، مبالغة في كثرة عرقه، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥٠/٢، وفتح الباري ٢٩/١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٤/١، رقم: (٢)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ١٨١٦/٤، رقم: (٢٣٣٣).

وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فَثَقُلْتُ عَلَيَّ حَتَّى خَفْتُ أَنْ تُرَضَّ فِخْذِي، ثُمَّ
سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿عَبْرَ أُوْلَى الصَّرِيرِ﴾^(١).
الثاني: عظيم القدر^(٢)، وكل شيءٍ نفس وعظم خطره، فهو ثَقَلٌ وَثَقِيلٌ وَثَاقِلٌ^(٣).

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى
الصَّرِيرِ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦، ١٠٤٢/٣، رقم: (٢٦٧٧)].
(٢) انظر: قاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٧، والتفسير الكبير ٦٨٣/١٠.
(٢) انظر: تهذيب اللغة ٧٩/٩ (ثقل)، والتفسير الكبير ٦٨٣/١٠.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "ألا وإنني تارك فيكم ثقلين^(١): أحدهما: كتاب الله ﷻ، هو حبل الله^(٢)، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة"^(٣).
الثالث: شاقاً في تكاليفه، والعمل به في فرائضه وحدوده^(٤)، قاله الحسن^(٥) (ت: ١١٠هـ)، وقتادة^(٦) (ت: ١١٧هـ).

(١) قال العلماء: سميا ثقلين:

لعظمهما وكبير شأنهما.

وقيل: لثقل العمل بهما.

والعرب تقول لكل شيء خطير: نفيس ثقیل، فجعلهما ثقلين: إعظاماً لقدرهما، وتضخيماً لشأنهما، انظر: تهذيب اللغة ٧٨/٩ (ثقل)، وإكمال المعلم ٤١٩/٧، والمنهاج ١٧٥/١٥.

(٢) قيل المراد بحبل الله: عهده الذي يعتصم به، وقيل: السبب الموصل إلى طاعته ورضاه ورحمته، وقيل: نوره الذي يهدي به، انظر: إكمال المعلم ٤٢٠/٣، والمنهاج ١٧٦/١٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ١٨٧٤/٤، رقم: (٢٤٠٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٤٠٩/٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٣، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٢٩/٤، وجامع البيان ٣٦٤/٢٣، وقد صوبه الطبري، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٠/٥، وتهذيب اللغة ٧٩/٩ (ثقل)، وتفسير السمرقندي ٤١٦/٣، وتفسير المشكل ص ١١٤، والكشاف ٢٤٢/٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٣٢٨/٤، والمحزر الوجيز ٣٨٧/٥، وتذكرة الأريب ص ٢٥١، والتفسير الكبير ٦٨٤/١٠، ومجاز القرآن لابن عبد السلام ص ٣٠١، ورموز الكنوز ٣٣١/٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والتزجمان ص ٣٧٨، وبهجة الأريب ص ٢٢٤، وعمدة الحفاظ ٣٢٤/١، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٠٤، ولابن العربي في أحكام القرآن ٣٢٨/٤، إيراد على هذا القول، بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

كما استبعده عبد الرحمن الميداني في معارج التفكير ١٦٢/١، بقوله: "أما حمل ثقله على ثقل العمل به فمستبعد، لأن الله ما جعل على المسلمين في هذا الدين من حرج".

وفي نظري أن هذا القول ليس بمستبعد ولا منكور، وحسبك أن قال به جلة من السلف، وأفاضل من العلماء، وهو قول معتبر صوبه إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، حيث يقول: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله جل جلاله وصفه بأنه قول ثقیل، فهو كما وصفه به ثقیل محمله، ثقیل العمل بحدوده وفرائضه" جامع البيان ٣٦٦/٢٣.

إذن فهو ثقیل من الوجهين معاً، كما هو ظاهر اختيار ابن جرير الطبري.

وهذا التأويل المذكور ليس المقصود منه معنى الثقیل الذي يستثقله الخلق، ويتبرمون منه، وينزعجون من القيام به، لكنه ثقیل لما فيه من التكاليف الشاقة، من جهة حملها وتحميلها للمدعوين، لأنها تضاد الطبع، وتخالف النفس.

وقد تقدمت الإشارة لثقل العمل بالكتاب العزيز في أحد تفسيرات شراح الحديث لمعنى الثقلين.

انظر: تهذيب اللغة ٧٨/٩ (ثقل)، والتفسير الكبير ٦٨٣/١٠، ونظم الدرر ٢٠٦/٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٦٥/٢٣، والواحد في الوسيط ٤٧٣/٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/١٥ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر - يعني: محمد المروزي -، وانظر: مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ص ٣١، والكشف والبيان ٦٠/١٠، والنكت والعيون ١٢٦/٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٧٨/٦، وقاموس القرآن ص ٩٣.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣٢٤/٢، والطبري في جامع البيان ٣٦٥/٢٣، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ٤٤/١٥ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر، وانظر: مختصر قيام الليل ص ٣١، وتفسير القرآن العزيز ٤٩/٥، والكشف والبيان ٦٠/١٠، والنكت والعيون ١٢٦/٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٧٨/٦.

الرابع: رصيناً في ألفاظه ومبانيه، وصحة معانيه، فله وزن في صحته وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول رزين، إذا كنت تستجيده، وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان^(١).

الخامس: نفيساً لا نظير له، ليس بالخفيف ولا السفساف^(٢)؛ لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى^(٣).
السادس: شديداً، قاله ابن عباس^(٤) (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما -.
السابع: شاقاً حلاله وحرامه، قاله مجاهد^(٥) (ت: ١٠٤هـ).
الثامن: في الميزان يوم القيامة ثقيل^(٦)، قاله الحسن البصري^(٧) (ت: ١١٠هـ) في إحدى الروايتين، وابن زيد^(٨) (ت: ١٨٢هـ)، وهو إشارة لكثرة ثواب قارئه، والعامل به^(٩).

- (١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢٤٠/٥، ورموز الكنوز ٣٣١/٨.
قال ابن عطية: "وقال حذاق العلماء: معناه: ثقل المعاني من الأمر بالطاعات، والتكاليف الشرعية من الجهاد، ومزاولة الأعمال الصالحة الدائمة".
وقال السعدي في تفسيرها: "أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، تحقيق أن يُتَهيأ له، ويُرتل، ويُتفكر فيما يشتمل عليه". تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٥٨.
واستظهر عبدالرحمن الميداني أن المراد من ثقل القول القرآني: أنه ذو معاني وفيرة غزيرة، وهذه المعاني الثرة لا يستطيع تفهمها من قبل الناس إلا بالقراءة المرتلة التي فيها أناة، وتمهّل، وتفكر، وتدبر + معارج التفكير ١٦١/١.
(٢) السفساف: أصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخل، والتراب إذا أُثير، والسفساف: الأمر الحقيق الردي من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وكل عمل لم يحكمه عامله فقد سفسفه. انظر: أساس البلاغة ٤٥٨/١، والفائق في غريب الحديث ١٤٧/٢، ولسان العرب ١٥٥/٩ (سفف).
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١٩٧/٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٣، والكشف والبيان ٦٠/١٠، وتفسير القرآن للسمعاني ٧٨/٦، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٨، والكشاف ٢٤٣/٦، وتفسير القرآن للسخاوي ٥٢٨/٢، ومجاز القرآن لابن عبد السلام ص ٣١٠، وبهجة الأريب ص ٢٢٤.
(٤) انظره في: الكشف والبيان ٦٠/١٠، وبلا نسبة في: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣.
(٥) انظره في: قاموس القرآن ص ٩٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١، وبلا نسبة في وجوه القرآن ص ٨٩.
(٦) انظر: تفسير السمرقندي ٤١٦/٣، ووجوه القرآن ص ٨٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣٢٨/٤، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والترجمان ص ٣٧٨، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٠٤.
(٧) انظر: مختصر قيام الليل ص ٣١، والوسيط ٤٧٣/٤، وتفسير القرآن للسمعاني ٧٨/٦، والكشاف ٢٤٣/٦، والتفسير الكبير ٦٨٤/١٠.
(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣١٦/٢٣، وانظر: الكشف والبيان ٦٠/١٠، والنكت والعيون ١٢٦/٦.
(٩) انظر: التفسير الكبير ٦٨٤/١٠، وروح المعاني ١٠٤/٢٩.

التاسع: شديد الوعد والوعيد، والحلال والحرام، قاله أبو العالية^(١) (ت: ٩٠هـ).

العاشر: شديداً وشاقاً على المنافقين، قاله محمد بن كعب^(٢) (ت: ١٢٠هـ).

ووجه شدته على المنافقين: أنه يهتك أسرارهم، ويبطل أقوالهم، وفيه وعيدهم^(٣).

الحادي عشر: شديداً وشاقاً على الكفار^(٤).

ووجه شدته على الكفار: إعجازه، وما فيه من الاحتجاج عليهم، وبيان ضلالهم،

وتزييف معبوداتهم، وكشفه عما حرقه أهل الكتاب^(٥).

الثاني عشر: مهيباً، قاله عبد العزيز بن يحيى^(٦).

الثالث عشر: كريماً، مأخوذ من قولهم: فلان ثقیل عليّ، أي: كريم عليّ، قاله

السدي^(٧) (ت: ١٢٨هـ).

الرابع عشر: ثابت الإعجاز، لا يزول أبداً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ومن شأن الثقیل أن يبقى في مكانه ولا يزول، فالثقیل بمعنى:

الثابت، لثبوت الثقیل في محله^(٨).

وقد أودع ابن المنير (ت: ٦٨٣هـ) بعض هذه المعاني في نظمه، إذ يقول:

”قَوْلًا ثَقِيلًا ثَقَّلَ الْفَرَائِضَ غَيْرُ مُرْخِصٍ لِرَفْضِ الرَّافِضِ

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الرِّصِينُ وَالْوَافِ وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْخَفِيفِ السَّفْسَافِ^(٩)

(١) انظره في: الكشف والبيان ٦٠/١٠، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٨، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١، وبلا نسبة في وجوه القرآن ص ٨٩.

(٢) انظر: الكشف والبيان ٦٠/١٠، ومعالم التنزيل ٢٥٢/٨، وتفسير القرآن للسمعاني ٥٢٨/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٣٨٧/٥، والتفسير الكبير ٦٨٢/١٠.

(٤) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١.

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٣٨٧/٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١.

(٦) انظره في: الكشف والبيان ٦٠/١٠، وزاد المسير ١١٤/٨، ورموز الكنوز ٣٣١/٨، وبلا نسبة في: تذكرة الأريب ٢٥١/٢.

(٧) انظر: النكت والعيون ١٢٧/٦، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١.

(٨) انظر: النكت والعيون ١٢٧/٦، والتفسير الكبير ٦٨٤/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٢١.

(٩) التيسير العجيب ص ٢٠٤.

وكذا صنع الديريني (ت: ٦٩٧هـ) حيث قال:

إِنَّا سَنُنْقِي: أَي سَنُنُوحِي قَوْلًا يَثْقُلُ فِي الْمِيزَانِ فَارِعَ الطَّوْلًا

وَقِيلَ: أَي يَثْقُلُ حِينَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ هَيْبَةٍ مَنْ يَنْزِلُ

وَقِيلَ: بَلْ يَعْنِي بِهِ ثَقُلَ الْعَمَلُ عَلَى النُّفُوسِ وَالسَّعِيدُ مَنْ حَمَلَ^(١)

وبعد هذا التطواف في تعداد معاني ﴿ثَقِيلًا﴾ يستبين للناظر فيها، تألف تلك الأقوال، وعدم تنافرها، أو تعارضها.

ف ﴿ثَقِيلًا﴾ هنا: جماع وجوه، وحمال دلالات، يتسع لكل هذه التأويلات المذكورات، والتي هي من قبيل اختلاف التمثيل، أو التفسير بالمثال، ولا تعدو أن تكون نظرات تفسيرية من جهات مختلفة.

وعليه: تيك المعاني مطواعة للفظ، فلا يمنع من إرادتها جميعاً، ويبقى لفظ النظم الجليل على عمومته وشموله.

وقد حمل البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) معنى ﴿ثَقِيلًا﴾ على العموم^(٢)، وهو كما قال، وأخلفه بالاعتبار.

الموضوع الرابع والعشرون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

هذا هو الموطن الثاني للفظ: ﴿ثَقِيلًا﴾ في القرآن الكريم.

والآية من وادي الاحتباك^(٣): حيث "ذكر الحب والعاجلة أولاً دلالة على ضدهما ثانياً، والترك والثقل ثانياً دلالة على ضدهما أولاً، وسر ذلك: أن ما ذكره أدل على سخافة العقل بعدم التأمل للعواقب"^(٤).

(١) التيسير في التفسير ص ٢٩١.

(٢) انظر: نظم الدرر ٢٠٦/٨.

(٣) أسماء الزركشي: (الحذف المقابل): وهو "أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة، لدلالة الآخر عليه" البرهان ٣/١٢٩، وانظر: الإتيان ٥/١٦٢٣.

وأطلق عليه الجرجاني اسم: (الاحتباك)، وعرفه بمثل ما ذكر الزركشي. انظر: التعريفات ص ٦٧. وقال البقاعي معرّفاً له: "أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه" نظم الدرر ٢/٣١٧.

(٤) نظم الدرر ٨/٢٧٧.

وقد حملت الآية التوبيخ والتقريع لأولئك الكافرين الذين اتبعوا خطوات الشيطان، وآثروا الحياة الدنيا الزائلة، وزينتها الفانية، ولم يعدوا العدة لجلال حدث يوم مهول، تخشع له الأصوات، وتشخص فيه الأبصار، وتفزع منه النفوس!

إن هؤلاء الضالين المضلين، والكفرة المتمردين، ينبذون وراءهم غير عابئين ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ألا وهو يوم القيامة، وقد وصف بأنه ثقیل.

ومعنى ﴿ثَقِيلًا﴾: أي: عسيراً، وشديداً، وصعباً، وعظيماً. وبهذا اتجهت أقوال علماء التفسير^(١)، وأهل الوجوه والنظائر^(٢). فهو يوم شديد في أهواله وأوجاله، صعب في كروبه وخطوبه، عظيم في قدره وشأنه، عسير عند فصله وقضائه.

الموضع الخامس والعشرون:

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. لم ترد ﴿أَثْقَالَهَا﴾ إلا مرة واحدة في الذكر العظيم. والاثقال: جمع (ثَقُلَ)، أو (ثَقَلَ)، والثَقْلُ بمعنى الثَّقل، وجمعهما أثقال. ومجرهما مجرى قول العرب: مثْل ومَثَل، وشَبِه وشَبَه^(٣). وقد اختلف في المراد بقوله: ﴿أَثْقَالَهَا﴾ على ثلاثة أقوال:

(١) انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٤/ ٥٢، وتفسير القرآن العزيز ٥/ ٧٥، والنكت والعيون ٦/ ١٧٣، والوجيز ٢/ ١١٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/ ١٢٣، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٩٩، والكشاف ٦/ ٢٨٤، وزاد المسير ٨/ ١٥١، والتفسير الكبير ١٠/ ٧٦٠، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/ ٥٥٣، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٤٨٩، وأنوار التنزيل ٢/ ٥٥٤، والتسهيل ٤/ ١٧٠، وغرائب القرآن ٦/ ٤١٨، ونظم الدرر ٨/ ٢٧٧، وروح المعاني ٢٩/ ١٦٦، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٤٠٨.

(٢) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٧٩ (ثقل).

الأول: ما فيها من موتى^(١)، قاله ابن عباس^(٢) (ت: ٦٨هـ)، وسعيد بن جبير^(٣) (ت: ٩٥هـ)، ومجاهد^(٤) (ت: ١٠٤هـ).

الثاني: كنوزها^(٥)، قاله ابن عباس^(٦) (ت: ٦٨هـ)، وعطية العوفي^(٧) (ت: ١١١هـ)، ومن أشراط الساعة: استفاضة المال، وإخراج الأرض لكنوزها، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "تقيء الأرض^(٨) أفلاذ كبد^(٩)، أمثال الأسطوان^(١٠) من الذهب والفضة..."^(١١).

- (١) انظر: تفسير مقاتل، ٥٠٦/٣، ومعاني القرآن للفراء ٢٨٣/٣، ومحاز القرآن ٣٠٦/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٥، وتفسير كتاب الله العزيز ٥٢٥/٤، وجامع البيان ٥٥٨/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥١/٥، ونزهة القلوب ص ١١١، وتفسير السمرقندي ٥٠٠/٣، وتفسير القرآن العزيز ١٥٣/٥، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، والكشف والبيان ٢٦٤/١٠، والهداية ٨٣٩٠/١٣، والوجيز ١٢٢٣/٢، وقاموس القرآن ص ٩٣، ومعالم التنزيل ٥٠١/٨، والكشاف ٤١٣/٦، والمحرر الوجيز ١٥١٠/٥، ونفس الصباح ٧٩١/٢، وزاد المسير ٢٩٢/٨، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، والتفسير الكبير ٢٥٤/١١، وتفسير القرآن للسخاوي ٦٢٤/٢، ورموز الكنوز ٧٠٢/٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١٦/٢٢، والتيسير العجيب ص ٢٢٩، والتيسير في التفسير ص ٣٢٦، والبحر المحيط ٤٩٦/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٣٤/٨، وعرر التبيان ص ٥٤٦، والترجمان ص ٤٣٥، وعمدة الحفاظ ٣٢٤/١، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٧٩، والتبيان ص ٤٧١، ونظم الدرر ٥٠٥/٨، وروح المعاني ٢٠٩/٣٠، وتفسير القرآن العظيم - جزء عم - لابن عثيمين ص ٢٨٤.
- (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٥٩/٢٤، وزاد نسبه في الدر المنثور ٥٨٢/١٥ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
- (٣) انظر: الهداية ٨٣٩٠/٣.
- (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٥٩/٢٤، وزاد نسبه في الدر المنثور ٥٨٢/١٥ للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
- (٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٨٣/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥١/٥، وتفسير السمرقندي ٥٠٠/٣، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، والكشف والبيان ٢٦٤/١٠، والوجيز ١٢٢٣/٢، وقاموس القرآن ص ٩٣، ومعالم التنزيل ٥٠١/٨، والمحرر الوجيز ٥١٠/٥، وزاد المسير ٢٩٢/٨، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، والتفسير الكبير ٢٥٤/١١، ورموز الكنوز ٧٠٢/٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١٦/٢٢، والتيسير العجيب ص ٢٢٩، والتيسير في التفسير ص ٣٢٦، والبحر المحيط ٤٩٦/٨، وعرر التبيان ص ٥٤٦، والترجمان ص ٤٣٥، وعمدة الحفاظ ٣٢٤/١، ونظم الدرر ٥٠٥/٨، وروح المعاني ٢٠٩/٣٠.
- (٦) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ٥٨٢/١٥.
- (٧) انظر: زاد المسير ٢٩٢/٨، ورموز الكنوز ٧٠٢/٨، وهو معزو لابن أبي حاتم، كما في إحدى نسخ الدر المنثور ٥٨٢/١٥ - ينظر: حاشية التحقيق (٤) طبعة التركي -، وانظر: الإكليل ١٣٢١/٣.
- (٨) تقيء الأرض: أي: تخرج وتظهر ما في جوفها. انظر: إكمال المعلم ٥٣٣/٣، والمنهاج ٩٩/٧.
- (٩) أفلاذ كبد: أي: الكنوز والقطع المدفونة فيها، والأفلاذ: جمع فلذ، والفلذ: جمع فلذة، وهي القطعة المقطوعة طولاً، وسمي ما في الأرض: (كبداً) تشبيهاً بالكبد الذي في بطن البعير، وخص الكبد، لأنه من أطايب الجوز.
- انظر: إكمال المعلم ٥٣٣/٣، والنهاية في غريب الحديث ٤٧٠/٢.
- (١٠) الأسطوان: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان، لعظمه وكثرته.
- انظر: إكمال المعلم ٥٣٣/٣، والمنهاج ٩٩/٧.
- (١١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ٧٠١/٢، رقم: (١٠١٣).

الثالث: أسرارها، حيث تشهد على العباد في موقف الحساب^(١)، ولذلك قال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ [الزلزلة: ٤].

وضعف هذا القول بادٍ، فليس بمعضودٍ من أثر، وارتباطه بقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ أقرب، وإقحامه ضمن معاني التأويل أشبه.

وقد استبعد الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تأويل أثقالها: بأسرارها، حيث قال: "وهو مع مخالفته للمأثور، بعيد"^(٢).

وعليه فتحمل الآية على كلا القولين الأولين، فالأرض تقذف مكنوناتها المخبأة، وتخرج ما في جوفها المدفون، من اموتى، والكنوز، والمعادن، وجميع الذخائر. وقد جمع بينهما ابن عباس (ت: ٦٨هـ) بقوله: "ما فيها من الكنوز والموتى"^(٣).

الموضع السادس والسابع والعشرون:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

هذا هو الموضع السابع، وكذا الثامن والأخير للفظ: ﴿مِثْقَالَ﴾ في التنزيل العزيز. وقد وصف النبي ﷺ هاتين الآيتين بـ "الفاذة الجامعة"^(٤). و﴿مِثْقَالَ﴾ في الموضعين يمثل معنى الموضع الأول المتقدم.

(١) انظر: التفسير الكبير ١١/٢٥٤، وروح المعاني ٢٠/٢٠٨.

(٢) روح المعاني ٣٠/٢٠٩.

(٣) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٥/٥٨٢.

(٤) انظر: ما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة]، ١٨٩٧/٤، رقم: (٤٦٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ٦٨٢/٢، رقم: (٩٨٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة ؓ. وقد سماها: "فاذة"، لانفرادها في معناها، إذ هي قليلة المثل والنظير.

وسماها: "جامعة"، لشمولها وعمومها لجميع أنواع الطاعة والمعروف. انظر: إكمال المعلم ٣/٤٩٣، والمنهاج ٧/٧٠، وفتح الباري ٦/٧٧.

وقد وصف ابن مسعود ؓ هاتين الآيتين بأحكم آية في كتاب الله، ففي تفسير عبد الرزاق ٢/٣٨٨: "قال معمر: وبلغني أن عمر بن الخطاب... وفيه انقطاع، وجهل بالمحذوف، والمنقطع ضعيف. وورد عن ابن مسعود ؓ أنهما: "أخوف آية من القرآن" أخرجه المستغفري في فضائل القرآن ٢/٧٦٧، رقم: (١١٥٢)، وإسناده ضعيف، كما قال محققه: د. أحمد السلوم.

الموضع الثامن والعشرون:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦].

هذا هو الموضع الرابع والأخير لمفردة: ﴿ثَقُلَتْ﴾ في محكم التنزيل.

و ﴿ثَقُلَتْ﴾ : فعل ماضٍ لفظاً. ومعناه الاستقبال^(١).

ومعناها مطابق للموضع الثاني في أوائل البحث، بما يغني عن إعادة توجيهها.

أو تكرير ترديدها.

* * *

(١) انظر: الطارقية ص ٢٣٦.

الخاتمة:

الحمد لله على جزيل العطايا والهبات، وبفضله ونعمته تتم الصالحات، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، يسر إتمام هذا البحث، توفيقاً منه وامتناناً، وفيه خلصت إلى جملة من النتائج منظومة على النحو الآتي:

أولاً: تمت دراسة تصريفات مادة (ثقل) في ثمان وعشرين موضعاً من الكتاب الكريم، مستعرضاً فيها معاني الألفاظ، وتأويلات أهل التفسير، مردفاً ذلك بالأظهر من عيون تلك الأقاويل، ومدى مواءمتها لسياق التنزيل.

ثانياً: ظهر من خلال الدراسة سعة مدلول مادة (ثقل) في بعض تصاريفها، إذ ينضوي تحت اللفظ الواحد معانٍ متكاثرة، ما يشير إلى وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وعظمة بيانه.

ثالثاً: بعض تصاريف الـ (ثقل) يأتي تفسيرها على لسان السلف من باب التمثيل، وذكر بعض أفراد العام، من غير إرادة التقييد والتخصيص.

رابعاً: أن من تصاريف الـ (ثقل) ما يضم تفسيرات صحيحة متنوعة، تحتملها الآية الكريمة، وإذا كان ذلك كذلك، فلا مانع من إرادة الكل حال التأويل.

خامساً: ورد تصريف كلمة: (ثقل) في اثنين وعشرين موضعاً من السور المكية، وهي كما يلي:

- ١- سورة الأعراف: أربعة مواضع.
- ٢- سورة يونس: موضع واحد.
- ٣- سورة الرعد: موضع واحد.
- ٤- سورة النحل: موضع واحد.
- ٥- سورة الأنبياء: موضع واحد.
- ٦- سورة المؤمنون: موضع واحد.
- ٧- سورة العنكبوت: ثلاثة مواضع.
- ٨- سورة لقمان: موضع واحد.
- ٩- سورة سبأ: موضعان.
- ١٠- سورة فاطر: موضع واحد.

١١- سورة الطور: موضع واحد.

١٢- سورة الرحمن: موضع واحد.

١٣- سورة القلم: موضع واحد.

١٤- سورة المزمل: موضع واحد.

١٥- سورة الإنسان: موضع واحد.

١٦- سورة القارعة: موضع واحد.

وفي ستة مواضع من السور المدنية، وهي كما يلي:

١- سورة النساء: موضع واحد.

٢- سورة التوبة: موضعان.

٣- سورة الزلزلة: ثلاثة مواضع.

سادساً: أن علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مطاويه قديمة، والملاحظ: أن المعتنين به من أعلامنا السابقين، لم يستوعبوا المعاني المتعلقة بألفاظ تصريفه، أو مواطنه من الآيات، بل اقتصروا على بعض معاني إطلاقه، أو قصره على أحد أفراد عمومته، أو جزء معناه.

وفي ثانياً هذا البحث من الفوائد المبتوثة التي لا تخفى على المطالع، لاسيما وقد فعل البحث بكثير من نصوص أهل العلم وأقوالهم في تفسير الآيات المتعلقة بتصريف مادة (ثقل).

وقد بذلت قصارى جهدي في استيفاء الكلام، وإدراك المعاني، راجعاً حول هذه الآيات وتفسيراتها، وتحقيق أظهر الأقوال فيها إلى كتب المفسرين، وأرباب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر، موثقاً وناقلاً عن أهل العلم كلامهم، ومستنيراً بأرائهم، وثاقب نظراتهم، حتى تستبين هذه المعاني، وتجمع شتات أفرادها في موطن واحد، تتم به الفوائد، وتستكمل به أوجه التأويل.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وصلّى الله وسلّم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

- الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.
- أحكام القرآن الكريم، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص، تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- أسباب النزول الواردة في ثنيا جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري - جمعاً وتخريجاً ودراسة -، لحسن البلوط، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى.
- أسباب نزول القرآن، للواحدي، تحقيق: د. ماهر الفحل، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- الاستيعاب في بيان الأسباب، لسليم الهلالي، د. محمد آل نصر، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، لسليمان الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، نشر: الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، تخريج: محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- إعراب القرآن. لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- الإكليل في استنباط التنزيل. لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عامر العرابي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم. لقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- أمالي المرتضى. للشريف المرتضى، تصحيح: محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.
- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة في غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن. لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: د. علي العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن. لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: سعاد باقي، نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- البداية والنهاية. لابن كثير، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، الجيزة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.

- البسيط. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. من أول سورة النساء إلى الآية ٥٠ من سورة المائدة. دراسة وتحقيق: محمد بن حمد المحميد. رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عام ١٤١٦هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. للفيروزآبادي. تحقيق: محمد علي النجار. المكتبة العلمية. بيروت.
- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب. للتركمان. تحقيق: د. علي حسين البواب. مكتبة المنار الأردن. ١٤١٠هـ.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ونسمة من حلها من الأوائل واجتاز بنواحيها من واديها وأهلها. لابن عساكر. تحقيق: عمر العمري. دار الفكر. بيروت. ١٤٠٥هـ.
- التبصرة في القراءات. لمكي بن أبي طالب. تحقيق: د. محيي الدين رمضان. منشور معهد المخطوطات العربية. الكويت. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ.
- تبصير الرحمن وتيسير المنان. لعلي بن أحمد المهامي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤٠٣هـ.
- التبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد الهائم المصري. تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي. دار الصحابة. طنطا. الطبعة الأولى. ١٤١٢هـ.
- التحرير والتنوير. للطاهر بن عاشور. (بدون رقم الطبعة. ولا اسم الناشر).
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. لأبي حيان الأنديسي. تحقيق: سمير طه المجذوب. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤٠٨هـ.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب. لابن الجوزي. تحقيق: د. حسن البواب. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤٠٧هـ.
- التذكرة في القراءات. للطاهر بن غلبون. تحقيق: د. سعيد زعيمة. دار ابن خلدون. الإسكندرية. الطبعة الأولى. ٢٠٠٠م.
- الترجمان عن غريب القرآن. لعبد الباقي اليماني. تحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم. مكتبة البيان. الطائف. الطبعة الأولى. ١٤١٩هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل. لابن جزي الكلي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الرابعة. ١٤٠٣هـ.
- تيسير القرآن الكريم (جزء عم). لمحمد بن صالح العثيمين. دار الثريا. الرياض. الطبعة الثانية. ١٤٢٣هـ.

- التعبير الفني في القرآن الكريم. للدكتور بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠٠٤م.
- التعريفات، للرجلاني، تحقيق: د. محمد المرعشلي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- تفسر المراغي، لأحمد المراغي، نشر مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.
- تفسير ابن عرفة، لابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- تفسير السمرقندي، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: عادل عبدالموجود وشركائه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور حكمت بشير ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمين، تحقيق: عبد الله عكاشة، ومحمد الكتر، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ^٥ والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للسخوي، تحقيق: د. موسى مسعود، ود. أشرف القصاص، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
- تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن، لأبي محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: د. سعد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- التفسير الكبير. للرازي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- تفسير آيات أشكلت، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- تفسير غريب القرآن العظيم. لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. حسين ألمالي، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ).
- تفسير غريب القرآن، لابن الملقن، تحقيق: سمير طه مجذوب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- تفسير كتاب الله العزيز، لهود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج بن سعيد الشريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- تفسير مقاتل، لمقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- التلخيص في القراءات الثمان، لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد موسى، نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- التمهيد في علم التجويد، لمحمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، (بدون رقم الطبعة، ولا اسم الناشر).
- التيسر العجيب في تفسير الغريب، لابن المنير الإسكندراني، تحقيق: سليمان أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

- التيسير في القراءات السبع. للداني، بعناية: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. لمحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- جمهرة الأمثال. لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- جمهرة اللغة. لابن دريد، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: الغماري الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- حجة القراءات. لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- الحجة في القراءات السبع. لابن خالويه، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد. لأبي علي الفارسي، تعليق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. فريد السليم، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

- درج الدرر في تفسير الآي والسور. للجرجاني. تحقيق: مجموعة من الباحثين. مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ديوان زهير بن أبي سلمى. اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. للرسماني، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للأوسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير. لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد آل حميد، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحملاوي، تعليق: د. محمد عبد بن عبد المعطي، وخرج شواهد: أحمد المصري، دار الكيان.
- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد العثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- شرح الهداية، للمهدوي، تحقيق: د. حازم حيدر، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: د. عبد العلي حامد، ومختار الندوي، الدار السلفية، بمومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- شواذ القراءات، لمحمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الصحاح للجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)، ضبط وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، واليمامة (دمشق، بيروت)، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح)، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ، لمحمد الموصلي المعروف بشعلة، تحقيق: د. محمد البراك، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- صيغ المجموع في القرآن الكريم، للدكتورة وسمية المنصور، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الصيغ الفعلية في القرآن الكريم - أصواتاً وأبنية ودلالة، لثريا عبد الله إدريس، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا باللغة العربية، ١٤١٠هـ.
- العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير، تعليق: خالد السبت، دار ابن عثان، القاهرة، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- علل القراءات، للأزهري، تحقيق: نوال الحلوة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- عيون المسائل في القرآن العظيم، لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، نشر: دار القبة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين القمي النيسابروي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- غراس الأساس. لابن حجر، تحقيق: د. توفيق شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- الغربيين في القرآن والحديث. لأحمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- الفتاوى الكبرى. لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، للشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر الشهير بالجمل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ.
- فضائل القرآن، للمستغفري، تحقيق: د. أحمد السلوم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- قاموس القرآن، للحسين الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.
- القراءات الشاذة، ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، للدكتور عبد العلي المسنول، دار ابن عفا، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- كتاب الألفاظ، لابن السكيت، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- كتاب الطارقية في إعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح معاني كل حرف وتلخيص فروعه، لابن خالويه، تحقيق: د. محمد عمر، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وشركائه، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، للباقولي، تحقيق: د. عبد القادر السعدي، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.
- الكشف والبيان، لأحمد الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ضبطه وصححه: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر الأصبهاني، تحقيق: سبيع حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- مجاز القرآن، ويسمى الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، لابن عبدالسلام، تحقيق: د. محمد مصطفى بن الحاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، تحقيق: هاشم المحلاتي، وفضل الله الطبطبائي، دار المعرفة، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لعبد الحق غالب بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم. لابن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هندawi، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البدائع. لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر. لمحمد بن نصر المروزي، اختصرها أحمد بن علي القريري، حديث أكاديمي، باكستان، ١٤٠٨هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- المستدرک على الصحيحين، للهاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- المستنير في القراءات العشر. لأحمد بن سوار البغدادي، تحقيق: د. عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- المصاحف. لابن أبي داود، تحقيق: د. محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- المصنف في الأحاديث والآثار. لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- معارج التفكير ودقائق التدبر. لعبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المعارف. لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- معالم التنزيل. لأبي محمد البغوي، تحقيق: محمد النمر. وعثمان ضميرية. وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- معاني القراءات، للأزهري، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر النحاس. تحقيق: محمد علي الصابوني. نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن وإعرابه. للزجاج. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن. للأخفش. تحقيق: د. عبد الأمير الورد. عالم الكتب. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن. للفراء. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي. وعلي النجار. وغيرهما. دار السرور. بيروت.
- المعجم الكبير. للطبراني. تحقيق: حمدي السلفي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الثانية.
- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم. للدكتور أحمد الخراط. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى. ١٤٠٩هـ.
- معرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام المعروف بـ (السبعة). لابن مجاهد. تحقيق: د. شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. الطبعة الثانية.
- مفردات ألفاظ القرآن. للراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان داوودي. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٢٣هـ.
- مقاييس اللغة. لابن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لابن حجر. تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيجا. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤١٥هـ.
- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، القسم الصحيح. للطرهوني. مكتبة العلم. جدة. الطبعة الثانية. ١٤١٤هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها. لابن أبي مريم. تحقيق: د. عمر الكبيسي. نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن. لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: محمد المديفر. مكتبة الرشد. الرياض. شركة الرياض للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. ١٤١٨هـ.

- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. لأبي بكر بن العربي. تحقيق: د. عبد الكبير المدغري. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية المغربية، ١٤٠٨هـ.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن. لعبد القاهر البغدادي. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة. الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك. لأبي جعفر النحاس. تحقيق: د. سليمان الاحمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم الرازي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز. لأبي بكر السجستاني، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- النسخ في القرآن الكريم - دراسة تشريعية تاريخية نقدية -، للدكتور مصطفى زيد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- النشر في القراءات العشر. لابن الجزري، تصحيح: علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. لبرهان الدين البقاعي، علق عليه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه. للخزرجي، تحقيق: محمد عز الدين الإدريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٤هـ.
- النكت والعيون. لعلي الماوردي، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، وظاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- نواسخ القرآن. لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية. لمكي بن أبي طالب، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

- وجوه القرآن الكريم. لإسماعيل الحيري النيسابوري، تحقيق: فاطمة الخيمي، دار الساق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي الواحدي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لغلाम ثعلب، تحقيق: محمد بن يعقوب التركمستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

* * *